سعد بن ابي وقاص

من أبطال الإسلام
٣

سعد بن أبي وقّاص

الأسد في براثنه
وأول رامٍ في الإسلام
وأحد العشرة المبشرين بالجنة
وبطل القادسية

تأليف

أحمد عبد الجواد الدومي — حسن صالح العنافي

منشورات المكتبة العصرية
بيروت - صيدا

مقـــدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين والصلاة والسلام على خاتم النبيين ، وقدوة الابطال الميامين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله واصحابه والتابعين لهم باحسان .

وبعد . فهذه هي الشخصية الثالثة « من ابطال الاسلام » نقدمها للقراء الاعزاء ، حسب المنهاج الذي نهجنا ، والطريق التي سلكناها .

وبطلنا اليوم هو احد العشرة المبشرين بالجنة وقائد موقعة القادسية ، وصاحب الدعوة المجابة ، الخائف من مقام ربه ، والناهي نفسه عن الهوى سعد بن أبي وقاص .

قال أبو نعيم في حلية الاولياء وهو يعرفنا به :

« هو قديم السبق ، اي للاسلام ، فهون عليه اسلامه تحمل الاثقال ، ومفارقة العشيرة والمال ، لما باشر قلبه من حلاوة الاقبال ، ونصر على الاعداء بالمقاتلة والنضال ، وخص بالاجابة في المسألة والابتهال .

ثم ابتلي في حالة الامارةوالسياسة ، وامتحن بالحجابة والحراسة .

ففتح الله على يديه السواد والبلدان ، ومنح عدة من الاناث والذكران ، ثم رغب عن الامارة والولاية ، وآثر العزلة والرعاية ، وتلافى ما بقي من عمره بالعناية ، فهو قدوة من ابتلي في حالة بالتلوين ، وحجة من تحصن بالوحدة والعزلة من التفتين الى ان تتضح له الشبهة بالحجج والبراهين (١) .

وقال ابن عبد البر في الاستيعاب :

« وهو الذي كوف الكوفة ، ولقي الاعاجم ، وتولى قتال فارس » .

ونحن الآن في حاجة الى متابعة تاريخ ابطالنا ، لنجد فيه الزاد النافع ، والتبصرة والذكرى ، (وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين) .

والله نسأل ان ينفعنا ببطلنا العظيم وباخوانه المجاهدين وهو سبحانه حسبنا ونعم الوكيل .

احمد عبد الجواد الدومي **حسن صالح العنقي**

---

(١) الحلية جـ ١ ص ٩٢ بتصرف قليل .

سعد بن أبي وقاص

اسمه ونسبه :

«هو سعد بن مالك بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة القرشي الزهري، وأمه حمنة بنت أبي سفيان بن أمية بن عبد شمس ويكنى أبا إسحاق »[1].

سبقه للاسلام

عن عائشة بنت سعد قالت : سمعت أبي يقول : أسلمت وأنا ابن سبع عشرة سنة[2] .

وذكر ابن الاثير في كتابه الكامل تحت عنوان : « ذكر الاختلاف في أول من أسلم » :

أن سيدنا أبا بكر دعا من يثق به من قومه للاسلام ومن بينهم سعد ابن أبي وقاص ثم قال ابن الاثير : « وكان هؤلاء النفر هم الذين سبقوا الى الاسلام ثم تتابع الناس »[3] .

ويقول ابن عبد البر : « ثم أسلم بدعاء أبي بكر الصديق عثمان بن عفان ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبي وقاص ... » وهذا النص ذكره ابن عبد البر تحت عنوان : « أول الناس ايمانا بالله ورسوله » .

نشاته

نشأ كما ينشأ أبناء سراة مكة وأشرافها وأصحاب الرأي فيها ، فلما أشرقت شمس الرسالة المحمدية وخرج الرسول الى أهل مكة مبشرا ونذيرا، كان سعد قد بلغ السابعة عشرة من عمره ، فلبى نداء الاسلام ، ودخل في

---

(١) اسد الغابة جـ ٢ ص ٢٩١
(٢) الطبقات جـ ٣ ص ١٣٩ وفي رواية تسع عشرة سنة
(٣) الكامل جـ ٢ ص ٢٣

دين الله . وقد روي عنه أنه قال : رأيت في المنام قبل أن أسلم ، كأني في ظلمة لا أبصر شيئا ، اذ أضاء لي قمر فاتبعته ، فكأني أنظر الى من سبقني الى ذلك القمر ، فأنظر الى زيد بن حارثة ، والى علي بن أبي طالب ، والى أبي بكر ، وكأني اسألهم متى انتهيتم الى هنا ؟ قالوا : الساعة !

وبلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الى الاسلام مستخفيا، فلقيته في شعب (أجياد) فأسلمت ، فما تقدمني أحد الا هم ، وبذلك يكون سعد أول من أسلم من الفتيان .

وتمسك سعد بدينه الجديد ، وأنزله من نفسه منزلة رفيعة .

اعتزاز رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلته به

عن جابر قال :

« أقبل سعد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «هذا خالي فليرني امرؤ خاله »

يقول ابن الاثير : وانما قال هذا لان سعدا زهرى (أي من قبيلة زهرة) وأم رسول الله صلى الله عليه وسلم زهرية ، وسعد ابن عمها فانها آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة يجتمعان في عبد مناف وأهل الام أخوال » [1] .

وفي اعتزاز الرسول صلى الله عليه وسلم بسعد دلالة على ما يتمتع به سعد من صفات كريمة .

سعد بن أبي وقاص احد المبشرين بالجنة

ويكفي سعدا شرفا وفخرا أنه أحد العشرة المبشرين بالجنة ، فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« أبو بكر في الجنة ، وعمر في الجنة ، وعثمان في الجنة ، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة ، وسعيد بن زيد في الجنة ، وأبو عبيدة ابن الجراح في الجنة » .

---

(١) أسد الغابة جـ ٢ ص ١٩١

(أخرجه أحمد والترمذي والبغوي في المصابيح الحسان وأخرجه ابو حاتم وفيه تقديم وتأخير) [1] .

مواقف كان السبق فيها لسعد

أولا : كان سعد بن أبي وقاص هو أول من أراق دما في الاسلام ، واول من رمى بسهم في سبيل الله ، والحادثتان مختلفتان « تقول المراجع عن الحادثة الاولى :

كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلوا ذهبوا الى الشعاب فاستخفوا بصلاتهم من قومهم ، فبينا سعد بن أبي وقاص في نفر من أصحاب رسول الله في شعب من شعاب مكة اذ ظهر عليهم نفر من المشركين فناكروهم وعابوا عليهم دينهم حتى قاتلوهم فضرب سعد رجلا من المشركين بِلِحْيِ جمل ــ أي عظم الفك الذي فيه الاسنان ــ فشجّه فكان أول دم أريق في الاسلام » [2] .

ثانيا : وعن الحادثة الثانية يقول ابن اسحق :

« وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبيدة بن الحارث بن المطلب في ستين أو ثمانين راكبا من المهاجرين ليس فيهم أنصاري فسار حتى بلغ ماء الحجاز بأسفل ثنية المرة فلقي بها جمعا عظيما فلم يكن بينهم قتال الا أن سعد بن أبي وقاص قد رمى يومئذ بسهم فكان أول سهم رمي به في الاسلام.

موقف ثالث :

عن عائشة قالت : أرق رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فقال: ليت رجلا صالحا من أصحابي يحرسني الليلة قالت: وسمعنا صوت السلاح، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا ؟ قال : سعد بن أبي وقاص يا رسول الله جئت أحرسك [3] .

القرآن ينزل عدة مرات في سعد

١ ــ عن مصعب بن سعد عن أبيه أنه نزلت فيه آيات من القرآن قال:

---

(١) الرياض النضرة في مناقب العشرة جـ ١ ص ٣٠
(٢) أسد الغابة جـ ٢ ص ٩٣
(٣) سيرة ابن هشام جـ ٢ ص ٤٢٨

حلفت أم سعد أن لا تكلمه أبدا حتى يكفر بدينه ولا تأكل ولا تشرب ، قالت : زعمت أن الله وصاك بوالديك ، وأنا أمك وانا آمرك بهذا ، قال : مكثت أمي ثلاثا حتى غشي عليها من الجهد ، فقام ابن لها يقال له عمارة فسقاها فجعلت تدعو على سعد فأنزل الله عز وجل في القرآن هذه الآية : « ووصينا الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما الي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون » العنكبوت ٨ ــ وانزل ايضا آية لقمان : «ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك اليّ المصير ، وان جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب اليّ ثم اليّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون » .

(لقمان : ١٤ ــ ١٥) .

وبقية القصة أن سعدا قال لها : يااماه لو كانت لك ألف نفس فخرجت نفسا نفسا ما تركت ديني لهذا الشيء ، فلما رأت ذلك أكلت وشربت [1] .

قال سعد : وأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم غنيمة عظيمة، فاذا فيها سيف فأخذته فأتيت به رسول الله فقلت نفلني هذا السيف ــ أي أعطنيه ــ فأنا قد علمت حالة [2] فقال : رده من حيث أخذته فانطلقت حتى اذا اردت أن ألقيه في القبض ــ مكان الغنائم ــ لامتني نفسي فرجعت اليه فقلت : أعطنيه قال : فشد لي صوته ــ أي رفعه ــ رده من حيث أخذته

---

(١) صحيح مسلم جـ ٧ ص ١٢٤

(٢) من تفصيل هذه الحال ما روي عن سعد انه قال : « لما كان يوم بدر قتل اخي عمير ، وقتلت سعيد ابن العاص واخذت سيفه وكان يسمى ذا الكتيبة فأتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : اذهب فاطرحه في القبض ، قال فرجعت وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي وأخذ سلبي فما مكثت الا قليلا حتى انزلت على رسول الله سورة الانفال فقال صلى الله عليه وسلم : اذهب فخذ سيفك » الرياض النضرة جـ ٢ ص ٣٩٢ .

قال : فأنزل الله عز وجل : يسألونك عن الانفال ... [1] .

٣ ــ عن سعد قال : في نزلت : « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي » قال : نزلت في ستة أنا وابن مسعود منهم وكان المشركون قالوا له تدني هؤلاء ؟ [2]

والسنة ايضا

اذا كانت مجموعة من الاحكام نزلت في القرآن بسبب سعد فان السنة أيضا فصّلت على يد سعد حدود الوصية الجائزة .

قال سعد : « ومرضت فأرسلت الى النبي صلى الله عليه وسلم فأتاني فقلت : دعني أقسم مالي حيث شئت قال : فأبي ، قلت : فالنصف قال : فأبى قال :فالثلث قال : فسكت فكان الثلث جائزا [3] » الى آخر حديث الوصية.

مواقف سعد العسكرية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم

ان اهمية سعد بن ابي وقاص كقائد تبدو أولا من مواقف الشجاعة والنجدة والقوة أثناء الصراع الذي كان بين المسلمين والمشركين ، وهو صاحب أول سهم أطلق في سبيل الله ، كذلك هو أول من أراق دما في سبيل الله ، وقد حضر المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول أبو عمر وغيره : « شهد بدرا والحديبية والمشاهد كلها » [4] .

وله في هذه المشاهد مواقف بارزة تضع يدنا على سر عبقريته في القيادة فيما بعد « أخبرنا الاعمش عن ابراهيم قال قال عبد الله : لقد رأيت سعدا يقاتل يوم بدر قتال الفارس في الرجال ★

وعن علي قال : ما جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه لاحد غير سعد بن مالك ــ بن أبي وقاص ــ فانه جعل يقول له يوم أحد [5] ارم

(١، ٢، ٣) صحيح مسلم ج ٧

(٤) الرياض النضرة ص ٤٩٤ ــ ٩٩٩

(٥) الطبقات ج ٣ ص ١٤١ وفي رواية اخرى: جمع الرسول أبويه للزبير بن العوام .

★ من المعروف أنه لم يكن مع المسلمين خيل كثيرة يوم بدر وكانوا يقاتلون (رجالا) اي على أرجلهم لكن مهارة سعد في القتال جعلته كأنه يركب الخيل .

فداك أبي وأمي « أخرجه مسلم والترمذي وقال حسن صحيح » [1] .

ولقد كان سعد يرمي من كنانة رسول الله صلى الله عليه وسلم ففي بعض الطرق « نَثَلَ لي رسول الله صلى الله عليه وسلم كنانته يوم أحد وقال: ارم فداك أبي وأمي « أخرجه البخاري ومسلم » [2] .

ذلك أن سعدا ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لهول المشركين في أحد .

« قالوا : ان سعدا في أحد وقف مع النبي صلى الله عليه وسلم وقد اقتحم المشركون عليه وهموا بقتله وقد جرح وجهه وكسرت رباعيته ـ واحدة من اسنانه صلى الله عليه وسلم ـ وكان موقفه ـ يعني سعدا ـ موقفا لم يعرف لأحد سواه وكان أن نجى الله رسوله بإخلاص سعد وجلده ووفائه » .

ولقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « اللهم سدد سهمه وأجب دعوته » أخرجه ابو عمر وابو الفرج في الصفوة [3] .

ولذلك كان طبيعيا ان تصفو روح سعد ويشف قلبه بسبب قربه الكامل من الرسول صلى الله عليه وسلم لحظة الخطر ، وبذله نفسه وجسده للدفاع عن عقيدة الاسلام ، فعن سعد أنه قال : « رأيت عن يمين النبي صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان عنه كأشد القتال ، ما رأيتهما قبل ولا بعد [4] أخرجه البخاري ومسلم وابو حاتم .

ونأخذ مما سبق أن سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه ، حاز أهم الصفات التي تؤهله للقيادة ، وقد توفرت له وسائل القوة في الجسد ، ووسائل القوة في العقل ، بالخبرة والدربة ، ووسائل القوة في القلب والنفس ، بالثبات والجرأة والشجاعة ، ووسائل القوة في الروح بالشفافية والتفاني في ذات الله ورسوله ومبادىء الاسلام وعقيدته الطاهرة النقية .

---

(١) الرياض النضرة ص ٤٩٤ ـ ٩٩٩
(٢) الرياض النضرة ص ٤٩٤ ـ ٩٩٩
(٣) الرياض النضرة ص ٤٩٤ ـ ٩٩٩
(٤) اسد الغابة جـ ٢ ص ٢٩١

سعد بن ابي وقاص في طور القيادة

لم تكن القيادة غريبة على سعد ، فمنذ عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قريب منه ، يتلقى عنه ويتأثر به ، فتتفجر في أعماقه عبقرية القيادة ، والثابت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يثق به ، ويحرض أصحابه على الاقتداء به فيقول : « هذا خالي فليرني امرؤ خاله [1] » والثابت ايضا أن هذه الثقة بلغت الى درجة ينيب فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم سعدا عنه في القيادة .

جاء في الدرر « خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لطلب كرز بن جابر الفهري الذي أغار على سرح المدينة ولكن كرزا فاته ، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن ابي وقاص في ثمانية رهط من المهاجرين في طلب كرز ... » [2] .

وجاء في الطبقات ما نصه : « وشهد ـ أي سعد ـ ... وفتح مكة وكان معه يومئذ احدى رايات المهاجرين الثلاث [3] » . ويلاحظ أن المسلمين في فتح مكة كانوا عشرة آلاف ، ولهم رايات ثلاث، وانتخاب سعد بين ثلاثة من هذا العدد الكبير لا تخفى دلالته ، وتمضي بسعد امجاد فعاله ، وتنمو مسؤولياته ، وتتصاعد حتى تكون له كلمة التوجيه والمسؤولية في هوازن ، يقوم على صدقاتها ويرعاها في امر دينها ، وينفذ سياسة الخلافة في رجالها.

القائد المشهور سعد بن ابي وقاص

ومع كل ما عرف عن سعد من كفاية تمهد لشهرته ، فقد أراد الله أن يكتب لهذه الشهرة تمامها ، فتداعت حركة الجهاد في سواد العراق وبلاد فارس من عهد أبي بكر الى عهد عمر ، ووصلت الامور في بلاد فارس الى مدى دقيق وخطير ، حيث تمت فتوحات وانتصارات هائلة على يد المثنى وخالد ولكنها أدت في نفس الوقت الى توتر الامبراطورية الفارسية،وسيطر على أكاسرتها وقوادها اصرار وعناد وكان يقود الفرس الى حرب المسلمين

---

(١) الدرر في اختصار المغازي والسير لابن عبد البر ص ١٠٦
(٢) طبقات ابن سعد جـ ٣ ص ١٤٢
(٣) الخلفاء الراشدون للنجار ص ١٢٧

رجلان هما رستم والفيرزان ، وعلم المثنى بأن الفرس قررت أن تخوض الحرب بكل ما أوتيت من قوة فكتب الى عمر « وما ان وصل الكتاب الى عمر حتى انتفض أهل السواد وكفروا من لم يكن في يده عهد ومن كان له عهد » [1] مما اضطر المثنى الى الخروج بحاميته بعيدا عن الخطر ، ومما دعا الخليفة عمر الى اصدار أوامر للمثنى بالتفرق في المياه التي تلي الاعاجم واعادة تنظيم قوة المسلمين حتى تصلهم القوات التي تدبرها الخلافة لمواجهة الموقف الحرج .

وقرر عمر في أول الامر أن يخرج بنفسه على رأس الجيش . يقول ابن الاثير : « لما اجتمع الناس الى عمر خرج من المدينة حتى نزل على ماء يدعى ضرارا فعسكر به ولا يدري الناس ما يريد ، أيسير أم يقيم ... فسأله عثمان عن سبب حركته فاحضر الناس فأعلمهم الخبر واستشارهم في المسير الى العراق ، فقال العامة : سر ، وسر بنا معك ، فدخل معهم في رأيهم ، وقال : اعدوا واستعدوا فاني سائر الى أن يجيء رأي هو أمثل من هذا » [2] .

على أن عمر كان وهو يستنفر الناس قد أرسل الى سعد بن ابي وقاص يطلب اليه أن يمده بالرجال وحين علم كبار الصحابة بقرار عمر السفر على رأس الجيش عارضوا هذا الرأي مما دعاه الى أن يجمع « وجوه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأرسل الى علي وكان استخلفه على المدينة فأتاه ، والى طلحة وكان على المقدمة فرجع اليه ، والى الزبير وعبد الرحمن وكانا على المجنبتين فحضرا ثم استشارهم فاجتمعوا على أن يبعث رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرميه بالجنود فان كان الذي يشتهي فهو الفتح والا اعاد رجلا وبعث آخر ففي ذلك غيظ العدو فجمع عمر الناس وقال لهم : الي كنت عزمت على المسير حتى صرفني ذو الرأي منكم ، وقد رأيت ان اقيم وابعث رجلا فأشيروا علي برجل وكان سعد بن أبي وقاص على صدقات هوازن ـ وكان عمر قد كتب اليه ـ بانتخاب ذوي الرأي والنجدة والسلاح فجاء كتاب سعد وعمر يستشير الناس فيمن

---

(١) الكامل لابن الاثير جـ ٢ ص ١٨٨

(٢) الكامل جـ ٢ ص ١٨٩ ـ ١٩٠

يبعثه يقول : قد انتخبت لك ألف فارس كلهم له نجـدة ورأي وصاحـب حيطة ، يحوط حريم قومه ، اليهم انتهت احسابهم ورأيهم » .

اجماع كبار الصحابة وعامتهم على اختيار سعد للقيادة

يقول ابن الاثير :

« فلما وصل كتابه ـ اي كتاب سعد ـ قالوا لعمر : قد وجدتـه ، قال : من هو ؟ قالوا : الاسد عاديا سعد ابن مالك . فانتهى الى قـولهم واحضره وأمّره على حرب العراق ووصاه » .

وصيـة عمر لسعد

وينبغي أن نثبت هنا نص الوصية التي اوصى بها الخليفة قائد جيوشه لان هذه الوصية تعتبر الدستور الذي انتهجه سعد في قيادته ، يقول عمر : « لا يغرنك من الله أن قيل خال رسول الله صلى الله عليـه وسلم وصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم،فان الله لا يمحو السيء بالسيء ولكن يمحو السيء بالحسن ، وليس بين الله وبين أحد نسب الا طاعته ، فالناس في ذات الله سواء ، الله ربهم وهم عباده ، يتفاضلون بالعافية ويذكرون ما عنـده بالطاعة ، فانظر الامر الذي رايت رسول الله صلى الله عليـه وسلم يلزمـه فالزمه [1] .

وكان من وصية امـير المؤمنين عمر بن الخطـاب أن يترفق سعـد بالمسلمين في سيرهم ، وان يريحهم يوما وليلة في كل جمعة ، وأن يـزكي العيون بينه وبين العدو ، وأن يتخذ من قواده من يطمئن الى نصحه .

وقد اعار سعد هذه النصيحة أذنا مصغية فجعل ينتقـل في الاراضي التي بين الحجاز والكوفة يستمع الاخبار ، ورسل عمر تراقبه وكتبه تأتيه ، يشير فيها بآرائه ويمده بالجنود .

وهذه الوصية بعد حشد الجند واختيار القائد تضع يدنا على ثلاثة مقومات أساسية في كل جيش يرجى منه النصر والفلاح :

١ ـ الجنود المقتنعون بالتضحية .

---

(١) الكامل ج ٢ ص ١٨٩/١٩٠ .

٢ ــ القائد الكفء الذي يرضاه رؤساؤه ومرؤوسوه .
٣ ــ المباديء التي يلتزم بها القائد وجنوده .

بين يدي المعارك التي خاضها المسلمون تحت قيادة سعد

لقد ابتدأت أولى معارك سعد مع الفرس في القادسية وكان جيشه على اكمل وجه ، واحسن وضع .

« فكان جميع من شهد القادسية ــ كما يقول ابن الاثير ــ بضعة وثلاثين ألفا »

« ولم يدع عمر ذا رأي ولا شرف ولا خطيبا ولا شاعرا ولا وجيها من وجوه الناس الا سيره الى سعد ، وجمع سعد من كان بالعراق من المسلمين من عسكر المثنى » (١) .

« وكان معه ــ أي مع سعد ــ تسعة وتسعون بدريا ، وثلاثمائة وبضعة عشر ممن كانت له صحبة فيما بين بيعة الرضوان الى ما فوق ذلك، وثلاثمائة ممن شهد الفتح ، وسبعمائة من أبناء الصحابة » (٢) .

وهذه النصوص تدل على مدى الثقة التي يتمتع بها قائدنا الكبير سعد بن ابي وقاص ، ولقد كان سعد جديرا بهذه الثقة ، وهيأته المقادير لحمل تبعات المسؤولية تامة وكاملة ، ومما يذكر في هذا المقام ان قائد المنطقة المشهور « المثنى بن حارثة » توفي بين يدي هذه الاحداث قبل وصول سعد بن ابي وقاص بقليل كما ذكرنا ، وترك وصيته أن يخلفه سعد حتى في الزواج من امرأته سلمى ، وفعلا تم هذا الزواج ، وتحمل سعد تبعات المسلمين في هذه المنطقة الواسعة وأصبح مسؤولا عن كل شيء .

سعد بن ابي وقاص ينتفع بآراء المثنى ووصاياه

لقد كان سعد بن ابي وقاص يعرف أقدار الرجال ويحترم الشورى التي هي طبيعة الاسلام ويأخذ بها فاستمع الى « المعنّى » بن حارثة أخي المثنى بن حارثة وهو يحمل اليه آراء أخيه المثنى يقول ابن الاثير : « سار الى سعد يعلمه برأي المثنى له وللمسلمين يأمرهم أن يقاتلوا الفرس على

---

(٢٠١)الكامل جـ ٢ ص ١٩٠

حدود أرضهم على ادنى حجر من ارض العرب ولا يقاتلوهم بعقر دارهم ، فان يظهر الله المسلمين فلهم ما وراءهم ، وان كانت الاخرى رجعوا الى فيئة ثم يكونوا اعلم بسبيلهم ، وأجرأ على ارضهم الى ان يرد الله الكرة عليهم فترحم سعد ومن معه على المثنى ، وجعل « المعنى » على عمله ، واوصى بأهل بيته خيرا ، ثم تزوج سلمى زوج المثنى » .

« وقدم على سعد كتاب عمر بمثل رأي المثنى [1] .

وهذه الآراء مستفادة في الواقع من التجارب العملية في المعارك التي خاضها المثنى وخالد وأبو عبيد الثقفي مع الفرس ، وفي هذا ما فيه من الدلالة على يقظة مسلمي الصدر الاول لرسم الخطط وتعديل التخطيط وفق احتياجات المعارك وطبيعتها المتغيرة كما علمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في حركة الجهاد الدائبة التي استغرقت سنوات من حياة النبي نفسه عليه صلوات الله .

الرجل المناسب في المكان المناسب

لقد كان المسلمون تحت قيادة سعد بن ابي وقاص في غاية من النظام، كل قائد يعرف مكانه وعمله . وهذه بعض الامثلة التي تشهد لسعد بن ابي وقاص بوضع كل كفاية في مكانها المناسب :

١ ــ سلمان الفارسي يجيد لغة قومه ، فاختاره رائدا وداعية وبالتعبير الحديث « وزيرا للدعاية والاعلان » ، او متحدثا رسميا باسم الاسلام .

٢ ــ زياد ابن ابيه وقد تربى في بيت معاوية الذي يجيد الكتابة جعله كاتبا ، يقول ابن الاثير : « وجعل رائدهم وداعيتهم سلمان الفارسي ، والكاتب زياد ابن ابيه » [2] .

ويقول ايضا : « فعبأهم ، وامر الامراء ، وعرّف على كل عشرة عريفا، وجعل على الرايات رجالا من أهل السابقة ، وولى الحروب رجالا على ساقتها ، ومقدمتها ، ورجلها ، وطلائعها ، ومجنباتها » [3] .

ويقول : «فجعل على المقدمة زهرة بن عبد الله ... وكان من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعل على الميمنة عبد الله بن المعتم ،

(١،٢،٣) الكامل ج ٢ ص ١٩٠

وكان من الصحابة ايضا ، واستعمل على الميسرة شرحبيل ... وعاصم بن عمرو التميمي على الساقة ، وسوار بن مالك التميمي على الطلائع وسلمان الباهلي على المجردة ، وعلى الرجالة حمال بن مالك الاسدي، وعلىالركبان عبدالله بن ذي السهمين [1] .

الحرب ليست هدفا في حد ذاتها

لم يكن للقوة يوما ان تسمح لدواعي الغرور ان تجيش في نفس قائد مؤمن بالله ورسوله مثل سعد بن ابي وقاص ، فمع القوة والكفاءة والنظام التي كان عليها جيش سعد ، كان القائد المؤمن في منتهى الحرص على هداية الفرس للاسلام أو مصالحتهم على الاقل . يقول الدكتور احمد شلبي أستاذ التاريخ : « حدثت موقعة الفادسيه في السنة السادسة عشرة للهجرة ، وكان قائد المسلمين فيها سعد بن ابي وقاص ... وقبيل المعركة تم اتصال بين المسلمين والفرس رجاء الوصول الى اتفاق يمنع الحرب ، ولكن هذا الاتصال لم يسفر عن نتيجة فقامت المعركة وهي من المعارك الهامة في تاريخ الحروب بين المسلمين والفرس [2] .

نموذج من الاتصالات التي تمت بين المسلمين والفرس

أرسل (رستم) قائد الفرس الى سعد بن أبي وقاص يطلب اليه ان يبعث لهم من يكلمهم . وبدا لسعد ان يختار مجموعة ناضجة من المسلمين لتكون اقوى حجة واكثر هيبة واقناعا ، لكن ربعي بن عامر اشار على سعد برأي آخر سرعان ما استجاب له سعد واخذ به .

يقول ابن الاثير :

« فدعا سعد جماعة ليرسلهم اليهم فقال له ربعي بن عامر : متى تأتهم جميعا يروا أنا قد احتفلنا بهم فلا تزدهم على رجل . فأرسله وحده ، فسار اليهم فحبسوه على القنطرة ، وأعلم رستم بمجيئه فأظهر زينته ، وجلس على سرير من ذهب وبسط البسط والنمارق والوسائد المنسوجة بالذهب وأقبل

---

(١) الكامل جـ ٢ ص ١٩٠

(٢) التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية ص ٢٠٩ ـ ٢١٠

ربعي على فرسه وسيفه في خرقة ،ورمحه مشدود بعصب قدّ ، ــ أي عصب مقطوع ــ فلما انتهى الى البسط قيل له انزل فحمل فرسه عليها ونزل وربطها بوسادتين شقهما ، وأدخل الحبل فيهما فلم ينهوه وآروه التهاون وعليه درج فأخذ عباءة بعيره فتدرعها وشدها على وسطه ، فقالوا : ضع سلاحك ، فقال : لم آتكم فأضع سلاحي بأمركم ، أنتم دعوتموني، فأخبروا رستم فقال : ائذنوا له ، فأقبل يتوكأ على رمحه ، ويقارب خطوه ، فلم يدع لهم نمرقا ولا بساطا الا افسده وهتكه [1] فلما دنا من رستم جلس على الارض وركز رمحه على البسط فقيل له : ما حملك على هذا ؟ قال : انا لا نستحب القعود على زينتكم ، فقال له الترجمان : ما جاء بكم ؟ قال : الله جاء بنا وهو بعثنا لنخرج من يشاء من عباده من ضيق الدنيا الى سعتها ، ومن جور الاديان الى عدل الاسلام ، فأرسلنا بدينه الى خلقه ، فمن قبله قبلنا منه ، ورجعنا عنه وتركناه وارضه دوننا ، ومن أبى قاتلناه حتى نفضي الى الجنة او الظفر ... فقال رستم : قد سمعنا قولكم فهل لكم ان تؤخروا هذا الامر حتى ننظر فيه ؟ قال : نعم وان مما سن لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نمكن الاعداء اكثر من ثلاث بعد الاجل : إما الاسلام وندعك وارضك ، او الجزاء ــ أي الجزية ــ فنقبل ونكف عنك وان احتجت الينا نصرناك ، أو المنابذة في اليوم الرابع الا ان تبدأنا ، أنا كفيل بذلك عن اصحابي ، فقال : أسيدهم انت ؟ قال : لا ، ولكن المسلمين كالجسد الواحد بعضهم من بعض ، يجير أدناهم على أعلاهم » [2] .

لقد تكرر ارسال الرسل بين المسلمين والفرس فكانوا جميعا من هذا الطراز القوي الذي خلع قلوب الاعداء ، لكن عز عليهم ان يستجيبوا لداعي الخير والحق ، فكان لا بد من القتال والحرب .

سعد في معركة القادسية

لا يهمنا هنا ان نسجل احداث المعركة ، بقدر ما يهمنا ان نكتشف

---

(١) انما استباح ربعي ذلك لان المحارب هدر ، ولانه لاحظ ان هذه المظاهر يراد لها غزوه نفسيا فاراد ان يفهمهم ان هذه المظاهر لا تحظى منه الا بالازدراء فعاملهم بنقيض مقصودهم

(٢) الكامل جـ ٢ ص ١٩٥

ملامح القائد البطل سعد بن ابي وقاص ، ولذلك سنكتفي من المعركة بالقدر الذي يحقق بغيتنا فحسب ، اذ ان مهمة هذا البحث تدور حول القائد العظيم لتكشف عن بعض جوانبه الرائعة حتى تتجلى قدرة الاسلام على صناعة الرجال وصياغة الابطال . وسنثبت وصفا كاملا لموقعة القادسية في نهاية الكتاب .

١ ـ « قبل ان تنشب الحرب بين الفريقين ارسل سعد الى الذين انتهى اليهم راي الناس ، والذين انتهت اليهم نجدتهم ، ومن احرزوا أصناف الفضل ... وقال : انطلقوا فقوموا في الناس بما يحق عليهم ، عند مواطن البأس ، فانكم من العرب بالمكان الذي انتم به، وانتم شعراء العرب وخطباؤهم وذوو رأيهم ونجدتهم وسادتهم ، فسيروا في الناس فذكروهم وحرضوهم ـ فماشئت في ذلك اليوم من خطب حشوها الحث على الحرب والحض على الطعان والاستبسال، بكلام تستأسد منه الاوعال ، ويستنسر به البغاث ، ويغلي به دم القلوب ، وتتوتر له الاعصاب ، ومن شعر يؤرث الشر، ويوغر الصدور ويهون الموت » [1] .

هذا التصرف من سعد يكشف لنا عن مدى فهمه وادراكه لسلاح القوة المعنوية للجنود وضرورة دخولهم المعركة عن اقتناع ورغبة وحماس ، وهذا أحد الملامح البارزة في سعد .

٢ ـ وقد استطاع القائد الموفق سعد بن ابي وقاص ان يحافظ على هذا الطابع الاسلامي في نفوس الامراء والجنود المسلمين . حتى ان (يزدجرد) كسرى الفرس ، حين اراد اغاظة المسلمين ، واحراج رسلهم اليه بتحميلهم وقرا من تراب ، لم يصل الى غرضه لان المسلمين نظروا لهذا التصرف من الجانب الذي يقوي نفوسهم ويرفع معنوياتهم فقالوا لقائدهم سعد وهم يضعون وقر التراب بين يديه : « ابشر فوالله لقد اعطانا الله اقاليد ملكهم » [2] .

٣ ـ لم يكن سعد يعوزه الحزم والحسم في سبيل تحقيق السلامة النفسية لجيشه حين يبدو عارض من عوارض الخطر على وحدة الصف

---

(١) الخلفاء الراشدون للنجار ص ١٤٨
(٢) الكامل جـ ٢ ص ١٩٣

وطاعة القيادة ، ففي الوقت الذي اصطف فيه المسلمون والفرس وتهيئوا للقتال ، اشتد المرض على قائد المسلمين فقد « كان بسعد عرق النسا وحبون »[1] قامت له ، لا يستطيع معها الركوب ولا الجلوس ، فخلف على الناس خالد بن عرفطة فشغب عليه بعض وجوه الجند . فقال سعد : احملوني واشرفوا بي على الناس ، فارتقوا به فأكب مطلعا عليهم وتحت صدره وسادة ، وأتى بمن شغب على خالد فهمّ بهم وزجرهم وقال : أما والله لولا ان عدوكم بحضرتكم لجعلتكم نكالا لغيركم ، ولا يعود احد بعدها يحبس المسلمين عن عدوهم ويشاغلهم وهم بازائه الا سننت به سنة يؤخذ بها من بعدي ــ ثم كتب الى الرايات : اني قد استخلفت عليكم خالد بن عرفطة وليس يمنعني أن أكون مكانه الا وجعي الذي يعودني وما بي من الحبون ، فاني مكب على وجهي وشخصي لكم باد فاسمعوا له واطيعوا، فانه انما يأمركم ويعمل برأيي ، فقريء امره على الناس فانتهوا الى رأيه وقبلوا منه وتحاثوا على السمع والطاعة والرضا بما صنع سعد فكان سعد يرمي بالرقاع فيها امره ونهيه الى خالد بن عرفطة وخالد يبلغها من قصد بها لينفذها ، فكان اركان حرب لسعد ذلك اليوم[2] » .

ان سعدا بهذا التصرف رد المسلمين الى طبيعتهم الاصيلة المتمثلة في وحدة قلوبهم ونفوسهم وقوة تماسكهم وكشف لهم بوضوح عن الاسباب الداعية لهذا الاجراء من شدة المرض حتى لا يسمح لاي شائعة تضعف العزائم وتثبط الهمم . واصبح المرض الذي كان مصدرا للقيل والقال والاشاعات ، مصدرا لتقدير القيادة والثقة بجهودها واكبار روحها وبالتالي مصدرا لقوة الجند وامرائهم ، ومجالا لتنافسهم وتسابقهم في التضحية ، والبذل والفداء ، واستطاع سعد بهذا ان يواجه اعدائه من الفرس بجنود الاسلام في اعلى درجات القوة المعنوية .

كيف بدات المعركة

ان بداية معركة القادسية تضع يدنا على سر كبير كان يفجر به قادة

---

(١) الحبون : الدمامل

(٢) الخلفاء الراشدون ص ١٤٧ ــ ١٤٨

المسلمين في نفوس الجند ونفوسهم اروع اسباب القوة المعنوية .

« اتعد سعد مع جنده ان يكبر لهم ثلاث تكبيرات ، والثالثة علامة بدء الحرب والرابعة علامة الزحف العام » [1] .

ويفصل ابن الاثير في كتابه الكامل هذه اللحظة الحاسمة فيقول :

« وأمر سعد الناس بقراءة سورة الجهاد وهي الانفال ، فلما قرئت هشت قلوب الناس وعيونهم ، وعرفوا السكينة مع قراءتها ، فلما فرغ القراء منها قال سعد : الزموا مواقعكم حتى تصلوا الظهر ، فاذا صليتم فاني مكبر تكبيرة ، فكبروا واستعدوا ، فاذا سمعتم الثانية فكبروا والبسوا عدتكم ، ثم اذا كبرت الثالثة فكبروا ، ولينشط فرسانكم الناس فاذا كبرت الرابعة فازحفوا جميعا حتى تخالطوا عدوكم ، وقولوا : لا حول ولا قوة الا بالله » [2] .

هذه الامثلة الاربعة :

من تجنيد المتخصصين في الجيش بتعبئة القوى المعنوية عن طريق الاقناع والاثارة .

والتفسير القوي المتفائل لحادثة التراب الذي حمله (يزدجرد) لرسل سعد .

ثم تحويل مرض القائد الى عامل بناء يدعم نفسية الجيش ويثير فيه روح التنافس والتقدير والاعجاب والثقة ، وانتهاز هذه الفرصة نفسها للضرب على يد دعاة الفرقة بقوة وشدة وحسم .

ثم الكيفية التي يختارها سعد لافتتاح المعركة من قراءة آيات الجهاد والتأييد والعون من الله والتكبير ...

هذه الامثلة مجرد اشارات لتحديد موقف سعد من جانب التوجيه المعنوي للجيوش حيث نرى هذا القائد المؤمن في ذروة النجاح والفهم والادراك والتطبيق بما لم يتيسر لارقى الجيوش واكثرها اجهزة واقواها

---

(١) الخلفاء الراشدون ص ١٤٧ ــ ١٤٨
(٢) الكامل جـ ٢ ص ١٩٨ ــ ١٩٩

اعلاما • ولننتقل الى جانب مادي في عبقرية القيادة لنرى من خلاله مكان سعد بن ابي وقاص •

قوة الدهاء وسعة الحيلة

ان معركة القادسية لم تكن يوما واحدا بل كانت جملة ايام ، ولقد سمي اليوم الاول من ايامها بيوم (ارماث) وقد اشرنا الى بعض احداثه في الامثلة السابقة • وكان مما حدث في هذا اليوم ان لاحظ القائد سعد ان الفرس لم يكتفوا بالعدد الضخم الذي اعدوه للمسلمين ــ وكان ما بين الثمانين والمائة وعشرين الفا ــ بل جاءوا معهم بالفيلة امامهم لافزاع الخيل وتفريق صفوف المسلمين • وما ان لاحظ سعد ذلك حتى بدأ على الفور في استشارة الذين دخلوا الاسلام من الفرس عن نقط الضعف التي يمكن قتل الفيلة عن طريقها ، وما كاد يعرفها حتى اصدر اوامره لبعض رجاله بالقضاء عليها ، ثم اخذ الفكرة نفسها وطورها وحارب بها الفرس ، فقد اختار المسلمون اضخم الابل والجمال التي معهم ، والبسوها لباسا غريبا تفزع منه خيول الفرس في اليوم التالي ، واحدة بواحدة ، يقول ابن الاثير : « وحمل بنو عم للقعقاع عشرة عشرة على ابل قد البسوها وهي مجللة مبرقعة واطافت بهم خيولهم تحميهم وامرهم القعقاع ان يحملوها على خيل الفرس يتشبهون بالفيلة ففعلوا بهم هذا اليوم وهو يوم (أغواث) اليوم الثاني من معركة القادسية ــ كما فعلت فارس يوم (ارماث) ــ اليوم الاول من ايام معركة القادسية ــ فجعلت خيل الفرس تفر منها وركبتها خيول المسلمين فلما رأى الناس ذلك سروا بهم ــ أي ببني عم القعقاع ــ فلقي الفرس من الابل اعظم مما لقي المسلمون من الفيلة »[1] •

هذه الحادثة في اليوم الثاني من ايام المعركة لها دلالتها القاطعة على سرعة التصرف وحسن الحيلة ، وهي صفة لا بد منها للقائد الناجح •

الجانب الاخلاقي في سعد

على انه لا يفوتنا ان نذكر حادثتين حدثتا على التوالي في اليوم الاول

---

(١) الكامل جـ ٢ ص ١٩٨ ــ ١٩٩

(يوم ارماث) وفي اليوم الثاني (يوم اغواث) تدلان على سجايا سعد وخلاله الحميدة وما يتمتع به من مكارم الاخلاق .

١ ــ حدث في (يوم ارماث) حرج شديد للقائد العام سعد بن ابي وقاص بسبب سلمى زوجته الجديدة التي تزوجها وفاء للمثنى بن حارثة وبرا بوصيته ، ذلك ان سلمى زوجة المثنى السابقة نظرت الى المعركة نظرة محدودة ، ولم تستوعب التخطيط الدقيق والتنظيم الناجح وهالها لاول وهلة ان ترى افيال الفرس تقتحم صفوف المسلمين وتفزع خيلهم ، ونظرت الى سعد بن ابي وقاص متوقعة منه ان يمتطي صهوة جواده ويتقدم لمصارعة أشرس فيل ويقتله . لكنها رأت الرجل مريضا لا يقوى على مثل هذه المخاطرة ، وحضرتها صورة المثنى وما كان يستطيع عمله لو كان حيا ازاء هذا الموقف ، فلم تملك نفسها ان صاحت : وامثناه ولا مثنى للخيل اليوم » [١] قالت ذلك وسعد مشغول بملاحظة الخطر الذي وجده محدقا ببجيلة وبني اسد وهما قبيلتان مؤمنتان تشتركان في المعركة ، أحدق بهما خطر الفيلة والفرس ، فنظر اليها نظرة القائد الذي يثق بخطته وبما يصنع وقال لها : « اين المثنى عن هذه الكتيبة التي تدور عليها الرحى يعني اسدا وعاصما [٢] » لكن الزوجة تمادت في ضجتها فلم يكن من الحسم بد فلطمها ليردها الى صوابها فصاحت بكلمتين بصوت اعلى ذهبت بهما الامثال كل مذهب :

« اغيرة وجبنا » [٣] وادرك سعد ان المرأة قد كشفت له عن خواطر قد تجول في نفوس الاخرين وتصرف بطبيعة القائد المطبوع صاحب الاخلاق الرفيعة فقال : « والله لا يعذرني اليوم احد ان لم تعذريني وانت ترين ما بي » [٤] .

ومعنى ذلك ان سعد بن ابي وقاص لم يتخذ من هذه الحادثة الخاصة العائلية دلالة شخصية يدور بها حول نفسه ، يثور ويغضب لكرامته ، وانما كان الذي يهمه اولا الثقة المتبادلة بينه وبين جنده لانها اساس النجاح والنصر وعلى الفور تصرف سعد بما لا يدع مجالا للاشاعات والتشكيك في شجاعة

(١،٢،٣،٤) الكامل لابن الاثير جـ ٢ ص

القيادة ، ووصل كما سبق ان ذكرنا الى تحويل المرض الى عامل بناء يدعم نفسية الجيش ويثير فيه روح التقدير والاعجاب والثقة في القيادة التي كانت متانة الاخلاق في سعد اذ لم يستطع الغضب من الزوجة الثائرة ان ينأى به عما يجب على القائد العظيم .

٢ ــ الحادثة الثانية حدثت في اليوم الثاني من ايام معركة القادسية وهو يوم (أغواث) ، وهذه الحادثة ان دلت على ان لسعد بن ابي وقاص قلبا كبيرا ، وصدرا واسعا ، وحلما وحكمة فانها تدل أيضا على المستوى الاخلاقي الرفيع عند سلمى زوجة سعد ، وعند رجل كان في بداية المعركة رهين الحبس في دار سعد ، وهو ابو محجن الشاعر الثقفي وكان قد حبس وقيد فهو في القصر قال لسلمى زوج سعد : هل لك ان تخلي عني، وتعيريني البلقاء ــ فرس لسعد ــ فلله علي ان سلمني الله ان ارجع اليك حتى اضع رجلي في قيدي فأبت فقال :

كفى حزنا ان ترتدي الخيل بالقنا
وأترك مشدودا علي وثاقيا
اذا قمت عناني الحديد وأغلقت
مصاريع دوني قد تصم المناديا
وقد كنت ذا مال كثير واخوة
فقد تركوني واحدا لا اخا ليا
ولله عهد لا أخيس بعهده
لئن فرجت أن لا أزور الحوانيا

فرقت له سلمى ، وأطلقته ، وأعطته البلقاء فرس سعد فركبها حتى كان بحيال الميمنة كبر ثم حمل على ميسرة الفرس ثم رجع خلف المسلمين وحمل على ميمنتهم وكان يقصف الناس قصفا شديدا وتعجب الناس منه وهم لا يعرفونه ــ وأبلى بلاء حسنا حتى اختلف الناس فيه هل هو ملك" أو بشر ــ فلما انتصف الليل وتراجع المسلمون والفرس عن القتال اقبل أبو محجن فدخل القصر وأعاد رجليه في القيد ومن شعره عن هذه الليلة :

وليلة قادس لم يشعروا بي
ولم أشعر بمخرجي الزحوفا

فـان أحبس فـذاكم بـلائـي
وان اتـرك أذيقهـم الحتـوفـا

فقالت له سلمى : في أي شيء حبسك ؟ فقال : والله ما حبسني بحرام أكلته ولا شربته ولكنني كنت صاحب شراب في الجاهلية ، وانا امرؤ شاعر يدب الشعر على لساني فقلت ـما أخذت بهـ فلذلك حبسني فلما أصبحت أتت سعدا فصالحته وكانت مغاضبة له ، وأخبرته بخبر أبي محجن فأطلقه فقال : « اذهب فما أنا مؤاخذك بشيء تقوله حتى تفعله ، قـال : لا جرم لا اجيب لساني الى قبيح أبدا » [1] . وقد رويت في البداية والنهاية لابن كثير مع اختلاف بسيط .

خلق كريم من القائد الذي يكافيء جنوده على حسن بلائـهم بالعفو عن أخطائهم ، وقلب كبير ذلك الذي يقر سلمى على تصرفها ويقبل منهـا اعتذارها عن موقف الامس ، وحكمة وكياسة وتدبير تدفع الى الوفاء والبر والاقلاع عن السوء، لقد عرفت سلمى قيمة زوجها وشجاعته ونبوغه وقوة تحمله فأحبته وصالحته ، وعرف أبو محجن حلمه ورحمته وحسن تقديره للمحسنين فاعطى للقائد عهد الابد ان لا يجيب لسانه الى قبيح مدى العمر.

المرونة والتوازن في سعد بن ابي وقاص

ضرورتان لا غنى عنهما للجيش في حاجته للنجاح والنصر :

١ ـ تحقيق الكيان الشخصي والذاتي في المقاتل .

٢ ـ تحقيق الارتباط الكامل بينه وبين قيادته بالثقة والسمع والطاعة.

ولا يستطيع التوفيق بين هاتين الضرورتين الا قائد موهوب ، وقـد كانت معركة القادسية مجالا متسعا لاظهار مقومات القيادة الفذة في سعد بن ابي وقاص ، ووضعه في عداد العمالقة من القواد العسكريين .

١ ـ عن تحقيق الكيان الشخصي والذاتي للمقاتل يتحدث التاريـخ عن اليوم الثالث في ايام معركة القادسية وهو يوم (عماس) [2] فيؤكد ان

---

(١) الكامل جـ ٢ ص ٢٠١

(٢) الايام الرئيسية في معركة القادسية اربعة :
١ ـ يوم ارماث . يوم اغواث . يوم عماس .
٤ ـ ليلة الهرير ويسمى صاحبها يوم القادسية

سعد بن ابي وقاص كان يضع ثقته في قادة جنده ، ويأذن لهم بتنفيذ خططهم ويدعهم ينتمون وينتسبون ـ أي يذكرون اعمالهم وانسابهم على سبيل الاعتزاز والتنافس ـ ويترك لقادة الجند الحرية بالحركة والابتكار والعمل والتخطيط .

يقول ابن الاثير عن يوم عماس :

« بات القعقاع ـ من اشهر قواد جيش المسلمين في القادسية ـ تلك الليلة يسرب أصحابه الى المكان الذي فارقهم فيه ـ وهو مكان يخيل لمن يرى القادم منه أنه يرى مددا جديدا يصل المسلمين ـ وقال : اذا طلعت الشمس فأقبلوا مائة مائة فان جاء هاشم فذاك ـ قائد كفء كان ينتظر المسلمون وصوله مع جنده مددا لهم ـ والا جددتم للناس رجاء وجدا ولا يشعر به احد . واصبح الناس على مواقفهم ، فلما ذر قرن الشمس ـ أي ظهر حاجب الشمس ـ أقبل أصحاب القعقاع فحين رآهم كبر وكبر المسلمون ، وتقدموا وتكتبت الكتائب واختلفوا الضرب والطعن والمدد متتابع فما جاء آخر اصحاب القعقاع حتى انتهى اليهم هاشم ، فأخبر بما صنع القعقاع فعبى أصحابه سبعين سبعين » (١)

معنى هذه التصرفات من القعقاع وهاشم أن القائدين المسلمين حين قسما جندهما هذا التقسيم الذي بدأ به القعقاع مائة مائة ثم اقتنع بالفكرة هاشم وطورها الى سبعين سبعين حتى تكون الكتائب المتوافدة أكثر في العدد لترفع الروح المعنوية لجنود سعد وفي نفس الوقت تفت في عضد اعدائهم وتخلع قلوبهم فزعا ورهبة فتنهار مقاومتهم .

ان الكيان الشخصي والذاتي كان متحققا لكل الجند والقادة في جيش سعد بصورة لها فاعليتها وثمراتها في مثل تصرفات القائدين .

٢ ـ اما عن نظرة سعد الى الطاعة التي تربط الجنود بالقيادة فقد كان ينظر الى هذا المبدأ على أنه جزء من عبادة الله سبحانه ، وكان يعتبر أي خطأ في تطبيق هذا المبدأ ذنبا يقتضي الاستغفار والتوبة ، وقد حدث في ليلة اليوم الرابع من ايام معركة القادسية (ليلة الهرير) أن قادة الجند في جيش

---

(١) الكامل جـ ٢ ص ٢٠٢

سعد سمحوا لانفسهم بالمغالاة بعض الشيء في تحقيق الكيـان الشخصي والذاتي فكان ذلك على حساب الارتباط والالتزام بمبدأ السمع والطاعة • وترتب على ذلك ان بعض المسلمين زاحفوا الجيش الفارسي بغير اذن سعد لاعتبارات جعلت القادة يستبقون قائدهم العام في تقدير الموقف « وكـان أول من زاحفهم القعقاع » ، هنا تتجلى نظرة سعد الى مبدأ الطاعة واعتباره عبادة فيرفع يديه الى السماء ويقول : « اللهم اغفرها له وانصره فقد اذنت له ، وان لم يستأذني ، وهذا هو الاسماح الذي جبل عليه سعد القائد العام ثم قال : فلحقهم اسد فقال : اللهم اغفرها لهم وانصرهم في حملة النخـع فقال : اللهم اغفرها لهم وانصرهم ثم حملت بجيلة فقال : اللهم اغفرها لهم وانصرهم » [1] •••

ان هذه الكلمات التي قالهـا سعد لها ابعادها الكبـيرة التي تتصف بالتكامل والفهم والمرونة والعاطفة النبيلة،والتفاني من اجل نصرة المسلمين• فهو حين يستغفر لهم انما يؤكد نظرته للطاعة والالتزام في يقين واعتقـاد يخشى معهما غضب الله، وهو حين يقول : «فقد اذنت له وان لم يستأذني» انما يغطي نقطة ضعف رآها كالثغرة المكشوفة في العمل الصالح ، وهـو يصنع ذلك حتى لا يقع أصحابه تحت العقوبة الالهية على هذه المخالفـة فيتعرضون للهزيمة ومن ناحية اخرى تدل هذه الكلمات على المرونـة في سعد بحيث لم يشأ أن يعاقب من وقع في هذا الخطأ فيوقت عصيب لايحتمل الاخذ والرد ومصلحة المسلمين تقتضي ان لا تضيع لحظة واحدة بعيدة عن مجال المعركة وفي صميمها •

وهكذا استطاع سعد بما أوتي من مواهب القيادة أن يوازن بـين الضرورتين الهامتين اللتين لا يفصل بينهما الا خط رفيع لا يضعه في مكانه الصحيح الا قائد حكيم موفق مثل سعد بن ابي وقاص ، الذي قهر مائـة وعشرين الفا من الفرس بعدد من جنوده لا يصل الى ربع هذا العدد تقريبا، وكانت معركة القادسية علىيديه فتحا له مابعده ونصرا رفع رأس المسلمين•

---

(١) الكامل لابن الاثير جـ ٢ ص ٢٠٣

من تقرير عن المعركة يكتبه سعد الى امير المؤمنين

كتب سعد الى عمر بن الخطاب كتابا بعد ان انتهت الموقعة ، وهذا الكتاب يكشف لنا عن عقيدة سعد بن أبي وقاص في المبررات التي حققت النصر لجيشه وجاء في هذا الكتاب هذه العبارات :

« أما بعد فان الله نصرنا على أهل فارس ... ـ الى ان يقول ـ ... وأصيب من المسلمين سعد بن عبيد القاريء وفلان وفلان .. ورجال من المسلمين لا نعلمهم الله أعلم بهم ، كانوا يدوّون بالقرآن اذا جن عليهم الليل دوي النحل ، وهم آساد الناس لا يشبههم الاسود ، ولم يفضل من مضى منهم من بقي الا بفضل الشهادة اذ لم تكتب له » ... (١)

فقراءة القرآن ، والعبادة بالليل ، والتضحية والشجاعة عند الزحف هي الصفات العسكرية التي يرفعها قائد الجيش ويذكرها بين يدي أمير المؤمنين باعتبارها مبررات تذكر اذا ذكر النصر والفتح . ولو ربطنا هذا التقرير الذي كتبه سعد بعد نهاية المعركة بالوصية التي كتبها عمر قبل بداية المعركة لأدركنا ما كان يعتمل في صدور هؤلاء الاطهار من معاني ارتباط النصر والفوز بطاعة الله عز وجل .

بعد القادسية

« أقام سعد بالقادسية شهرين بعد انتهاء الموقعة ، وذلك أمر طبيعي بعد موقعة قاسى فيها الجيش شدائد عظاما وأهوالا جساما ، واصطلى بنارها جميع الجيش فكانوا بعد ذلك كله في حاجة الى الاستجمام والراحة، ولو كان عند سعد جيوش احتياطية لم تشهد الحرب ولم تكتو بنارها لكان في حكم الحزم ان يرمي الفرس بها قبل أن يأخذوا راحتهم ويدبروا أمرهم ولكن القوم كانوا على ما علمنا من قلة عدد وقد قاتلوا عدوا يفوقهم أضعافا وقد نالوا منه ونال منهم فلا بد ان يكونوا في حاجة الى الراحة والمدد ، ومع هذا فما كان احتياج القوم الى الراحة ليحبسهم شهرين في القادسية بل كان اكثر ما لبثوا لتطهير النواحي التي غلبوا عليها

---

(١) الخلفاء الراشدون للنجار ص ١٥٥ .

من الاعداء حتى لا يتركوا وراءهم عورة يخافونها، وان ينتهوا مع من دانوا لهم بالطاعة على حال ، وان يستأمروا عمر في شأنهم » [1] .

التأثير الضخم الذي احدثه انتصار المسلمين في القادسية

كان المسلمون في انتظار رأي عمر وقد تهيأت لهم أحسن الظروف لاكتساح الفرس في العمق البعيد من بلادهم . لان انتصارهم في القادسية رفع روح المسلمين المعنوية الى حد كبير ، وحطم نفسية الفرس الى حد اكبر .

يقول ابن الاثير :

« وكانت العرب تتوقع وقعة العرب وأهل فارس بالقادسية فيما بين العذيب الى عدن ــ أبين ــ وفيما بين الأبُلّة وايلة ،يرون ان ثبات ملكهم وزواله بها ، وكانت كل بلد مصيخة اليها تنظر ما يكون من امرها » [2] .

« وكان عمر يسأل الركبان من حين يصبح الى انتصاف النهار عن اهل القادسية ثم يرجع الى أهله ومنزله » [3] .

سعد في طريقه للمدائن (عاصمة الفرس)

« أمر عمر رضي الله عنه سعدا أن يؤم المدائن ، وعهد اليه أن يخلف النساء والعيال بالعقيق ويجعل معهم كثيفا من الجند وان يشركهم في كل مغنم ما داموا يخلفون المسلمين في عيالهم [4] . »

ويلاحظ أن سعد بن ابي وقاص لا يكاد يتحرك حركة الا بأمر عمر ، وقد سبقت الاشارة الى نظرة سعد لطاعة القائد او الخليفة ، وكان عمر من جهته ملما بقوة الفرس ومواقع بلادهم كأنه يعيش بينهم فضلا عن معرفته التامة بجيش المسلمين ورجالاتهم وبدأ سعد بن ابي وقاص في تنفيذ امر عمر ، فجعل يبعث قواده ويقدمهم بين يدي جيش المسلمين ، فاستولى (زهرة بن الحوية) على اللسان الذي أدلعه البر في الريف وعليه الكوفة اليوم والحيرة قبل اليوم » [5] .

---

(١) البداية والنهاية جـ ٧
(٢،٣)الكامل جـ ٢ ص ٢٠٥
(٤،٥)الخلفاء الراشدون ص ١٥٨ ــ ١٥٩

« ووصلت مقدمة جيش المسلمين الى (برس) فلقيهم جمع من الفرس بصبهرى فلم يكن بين الفريقين كبير قتال حتى انهزموا الى بابل ... لما رأى بسطام دهقان برس ان المسلمين قادمون على بلاده ، وقد هزموا من بازاء بلده من الفرس بعد ان هزموا عسكرهم الاكبر بالقادسية وقتلوا قائدهم الاعظم وعلم ان بلده حاصل في قبضتهم وخاف معرة دخولهم عليه عنوة وخشي ان يعتريه احد منهم بسوء بادر الى زهرة فاعتقد منه ذمة وعقد له الجسور وأتاه بخبر الذين اجتمعوا ببابل لموافقة المسلمين » .

من طرائف سعد في بابل

« فلما علم زهرة بما انبأه به بسطام كتب الى سعد يعلمه بما أجمع عليه الفرس » فارسل سعد الأمداد الى زهرة وقدم بنفسه فاقام أياما ببابل ثم التقت اوائل جموع المسلمين بجنود شهريار وطلب شهريار البراز فبارزه أبو نباته بن نائل وكاد القائد الفارسي ان يجتز رأس الفارس المسلم بعد ان صرعه على الارض لكن اصبع الفارس وقع في فم ابي نباته فعضه عضة شديدة شلت حركة شهريار فانقلب الفارس المسلم فوقه واحتز رأسه وأخذ سلبه واخذ برذونه . وكان ابو نباته يلبس ملابسه ويتحلى بحلاه واساوره عند الحرب . وهو اول مسلم تزيا بذلك الزي بأمر من سعد بن ابي‌وقاص، ولا شك ان امر سعد لابي نباتة بأن يلبس هذا الزي فيه تقوية لروح المسلمين حين يرون جنديا في جيشهم كاد يقتل ولكن عناية الله ادركته فقتل خصمه وارتدى زيه .

سعد بن ابي وقاص في (بهرسير)

قدم سعد الى (بهرسير) احد قواد جيشه الاكفاء زهرة فقوبل من « شيرزاد » في موقع يسمى (ساباط) بالصلح وتسليم الجزية ووافاه هاشم بن عتبة بن ابي وقاص [1] القائد البطل وكان زهرة قد انشغل بتصفية رجال الحرس الكسروي في موقع آخر يسمى المظلم [2] وكان رجال هذا الحرس مغرورين ويؤدون قسم الولاء كل يوم قائلين « ان ملك فارس لا

---

(١) ابن اخي سعد بن ابي وقاص
(٢) المكان الذي كان يقيم فيه رجال الحرس الكسروي

يزول ما عشنا » واشترك هاشم في تصفية هذه الكتيبة الملكية ، ووصل سعد بن ابي وقاص الموقع ووافق لحظة وصوله اسدا متوحشا كان لكسرى قد ألفه وتخيره من أشرس الاسود واقواها فأفزع الناس وأخافهم ، وشهد سعد بن ابي وقاص البطل العظيم هاشم بن اخيه وهو يتصدى لهذا الاسد بسيفه ويقتله ، ولا يملك سعد الا ان يقبل رأس ابن أخيه هاشم بن عتبة ابن ابي وقاص فلا يسع هاشما الا ان يقبل قدم عمه سعد ، وانتهى سعد الى مكان الكتيبة المغرورة (بالمظلم) وهو يتلو قول الله سبحانه : « أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال» واستمر سعد الى هدفه (بهرسير) وكلما قدمت خيل من خيول الاسلام اليها كبروا وكان ذلك في السنة الخامسة عشرة .

سعد يستعمل احدث وسائل الحرب التي تصل اليها يده

« اقام سعد على بهرسير شهرين يحاصرها ويرميها بالمجانيق ، ويدب اليها بالدبابات ويقاتلونهم بكل عدة ، وكا نالعرب البادئين بالرمي بالمجانيق والجرارات فاستصنعها سعد واقام عليها عشرين منجنيقا فشغلهم بها .

من هذا يعلم مدى مقدرة سعد على الاستفادة من وسائل خصومه ، ومدى السرعة التي كان ينفذ بها تطوير الاسلحة الجديدة على العرب «ولما رأى الفرس ان البقاء في هذه المدينة لا يستقيم تركوها ودخلها المسلمون فلم يجدوا فيها غير نفر قليل وقعوا أسرى في ايديهم » [1] .

وانطلق جنود سعد يغيرون في السواد فجمعوا من الاسرى مائة الف ، واخبر شيرزاد أنهم من الفلاحين ، وأخذ القائد سعد فيهم رأي الخليفة عمر فأشار باطلاق سراحهم ومنحهم الامان ما داموا مسالمين فدخل معظمهم في دين الاسلام . كل هذه الانتصارات كانت في طريق سعد من القادسية الى المدائن .

المدائن

« في جمادى الاولى من سنة ١٥ هـ بدأ سعد زحفه العام على عاصمة

---

(١) الخلفاء الراشدون ص ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٨

كسرى ـ وقد اكتسب في طريقه اليها عدة انتصارات اشرنا الى اهمها ـ والمدائن اذ ذاك يقسمها دجلة [1] قسمين أحدهما على الضفة الغربية وقد بناها السلوقيون خلفاء الاسكندر المقدوني وعرفها العرب باسم المدائن الدنيا وكان يسكنها اخلاط من عامة الفرس ورعاعهم ، وثانيهما على الضفة الشرقية وعرفت بالمدائن العليا (ستيسفون) التي بناها الاكاسرة ، وبها القصر الابيض (ايوان كسرى) مقر الحكم ومسكن كسرى . تقدم سعد فاحتل المدائن الدنيا بجيشه ودله أهلها من العامة الحانقين على ملوكهم لظلمهم واستبدادهم بهم على مخاضة الى المدائن الشرقية (العليا) فأسرع المسلمون فخاضوا النهر بسرعة اوقعت الاضطراب في صفوف الفرس فلم يستطيعوا نقل ما في العاصمة من نفائس كانت من نصيب الفاتحين . وصل سعد الى العاصمة وضرب عليها حصارا قصيرا ، سرعان ما تبين له انه لا داعي له ، فقد خلص يزدجرد بنفسه نجيا ، واقتدى به الرؤساء وكبار رجال الدولة . فأسلموا انفسهم للهرب حتى حطوا رحالهم في بلدة حلوان في الشمال الشرقي من المدائن ـ على بعد مائة ميل منها تقريبا ـ ودخل المسلمون المدائن ونزل قائدهم العام سعد بن ابي وقاص العربي الصحراوي القصر الابيض وجعله مقرا لادارته واتخذ فيه مسجدا يعبد الله فيه بعد ان ظل قرونا معبدا للنيران ، وظلت ناره مشبوبة الاوار لم يطفئها غير قوة التوحيد وكان ذلك في صفر سنة ١٦ هـ (مارس سنة ٦٣٧ م) [2] .

لقد سبق ان ذكرنا اننا نتحدث عن سعد بن ابي وقاص لا عن معاركه واننا نهدف الى كشف عبقرية القيادة فيه . لكن هذه المعارك التاريخية الضخمة التي وضعها القدر بين يدي قائدنا سعد بن ابي وقاص هي التي كشفت عن جوانب عبقريته ، ومن هنا كان لا بد من التعرض لها . وعلى قدر ضخامة هذه المعارك تكون دلالتها على ما نريد . ويكفي ان نعلم ان الغنائم كانت من المدائن وما سبقها بحيث يجدر ذكرها .

يقول الدكتور فياض :

---

(١) النهر المشهور المعروف

(٢) التاريخ الاسلامي للدكتور فياض ص ٢٣٢

« وقد كانت غنائم المسلمين في القادسية وعمليات المطاردة من بعدها شيئا هائلا من ذهب وفضة وحيوان ونساء وأكسية ـ قدّر نصيب الفارس من غنائم (القادسية ـ المدائن) بمبلغ ١٨ الف قطعة ذهبية فارسية عـير الخيل والنساء ـ فلما وصلت هذه الغنائم الى عمر بكى بكاء مرا وقال : « ما أعطى اللهقوما هذا الا تحاسدوا وتباغضوا ،ولا تحاسدوا ولا تباغضوا الا جعل بأسهم بينهم شديدا » [١] .

« وقال عمر بن الخطاب ـ ايضا ـ لما قدم عليه بسيف كسرى ومنطقته وزبرجده : أن قوما أدوا هذا لذوو أمانة فقال علـي : انك عففت فعفت الرعية [٢] ولو رتعت لرتعوا .

تكفينا هذه اللمحة ـ دون الخوض في تفصيل الغنائم المذهـل ـ كي تتصور ما جرى للمسلمين من خير عظيم على يد سعـد ، ولنستأنف المسيرة مع هذا القائد العظيم .

سعد يبعث بابن اخيه هاشم الى جلولاء ويقضي علىمقاومةالفرس

يقول الدكتور فياض :

« ثم بلغ سعدا ان جلولاء الفرس تعد على يزدجرد في حلوان طالبـه منه اعادةالكرة علىالمسلمين ثم خرجوا وتجمعوا عند بلدة جلولاء وخندقوا حولها وتحصنوا بها فكتب سعد الى الخليفة بذلك فامره ان يجرد فرقـة من الجيش بقيادة هاشم بن عتبة بن ابي وقاص وعلى مقدمتها القعقاع بن عمرو التميمي فبعثهما في اثني عشر الفا فحاصروا جلولاء ثمانين يوما ـم اقتحم القعقاع الخندق وانتزع المسلمون المدينة عنوة من الفرس الديـن كتبت عليهم الهزيمة ، وركب القعقاع اقفية المنهزمين حتى اقترب من حلوان فارتاع يزدجرد وفر الى (الري) لا يلوي على شيء فتقدم القعقاع واحتل حلوان دون مقاومة تذكر في ذي القعدة من سنة ١٦ هـ وكانت الغنائم كثيرة عظيمة القدر فبعث سعد بالخمس الى عمر » [٣] .

---

(١) التاريخ الاسلامي للدكتور فياض ص ٢٣٢
(٢) الخلفاء الراشدون للنجار ص ١٦٨
(٣) التاريخ الاسلامي للدكتور فياض ص ٣٣ ـ ١٣٤

سعد في ذروة انتصاره ولكنه يطيع الخليفة ويتنازل عن رايه

استأذن سعد عمر « في تعقب الفرس في كل مكان (حتى خراسان) ولكن الخليفة آثر العافية للمسلمين حذر الغدر والكمين اولا ، وليتمكن سعد من تثبيت ملك الاسلام في الارض المفتوحة ، ولهذا امر الخليفة بالتوقف عند حلوان فانصرف سعد الى اخضاع ما بقي في شمال العراق[1] »

محاصرة تكريت واتحاد العرب ضد العدو

وتغيرت مواقع الجبهة العسكرية كما امر الخليفة واتجه سعد الى شمال العراق « وشاءت المقادير ان ملك الموصل قد اتفق مع الروم ونصارى العرب على حرب المسلمين ، فتجمعوا ونزلوا تكريت فارسل اليهم سعد جيشا على رأسه عبد الله بن المعتم فحاصر تكريت اربعين يوما وتمكن في مدة الحصار من استمالة العرب ، وكثرهم انهم اخوة في الدم واللغة وانه أولى بهم أن ينصروا أبناء عمومتهم على هؤلاء الاغراب المستبدين فمال العرب الى جانب المسلمين وارسلوا اليه بذلك ولكن عبد الله بن المعتم رد عليهم قائلا : ان كنتم صادقين فادخلوا فيما نحن عليه فشرح الله صدورهم للاسلام واعتنقوه خفية ، ولم يدر الروم والفرس بما دار بين القوم ثم اعتمد ابن المعتم على هؤلاء المسلمين الجدد ، ووضع خطته على اساس معوتهم وكانت تقضي بهجوم المسلمين من الخارج على منافذ المدينة من ناحية الخندق فاذا سمع المسلمون الجدد في الداخل تكبير المسلمين استولوا على منافذ المدينة من ناحية نهر دجلة . ونفذت هذه الخطة بحكمة واخلاص ، فوقع الفرس والروم بين سيوف المسلمين ومزقوا كل ممزق ، ومن استطاع الفرار بنفسه كان من احسنهم حظا ، وكان لهذا النصر قيمته في شمال العراق اذ اشتمل الرعب على قلوب اعداء المسلمين فأمعنوا في الهرب ، وأخذ ابن المعتم يتعقب الفارين حتى يتم للمسلمين احتلال نينوى والموصل دون مقاومة ودخل أهلها في طاعة المسلمين وعقدوا لانفسهم الذمة ، ودفعوا الجزية صاغرين ، وقويت شوكة ابن المعتم بتلك الفرق العربية التي اسلمت

---

(١) التاريخ الاسلامي للدكتور فياض ص ٣٣ ــ ١٣٤

عن طريقه وانضمت الى الجيش وكان قوادها خبراء بمسالك الطرق في تلك الاقاليم فسهلوا مهمة الفتح للمسلمين » [1] .

ان هذه الصورة التي حدثت في شمال العراق منذ اربعة عشر قرنا من الزمان تؤكد لنا ان ظروف العرب واحدة في كل عصر ، وان الدم العربي اذا تجدد في عروقنا كأمة تؤمن بحقها وربها كان قادرا على دفع خطورة الاستعمار وآثاره البغيضة .

التناسق يبلغ حد التكامل بين سعد وعمر

سعد بن ابي وقاص وعمر بن الخطاب كلاهما قائد عسكري ممتاز ومن اثار المعارك التي خاضها ابن المعتم وآثارها تتضح قيمة آراء عمر ومبادرة سعد الى تنفيذها ، وفي الوقت الذي ادت هذه السياسة الحكيمة المنسقة بالانسجام والتعاون الى تامين الحدود الحساسة المتاخمة للروم « في هذا الوقت خرجت فرقتان من المدائن احداهما بقيادة عمر بن مالك الى اواسط الفرات وتم الاستيلاء على قرقيسيا وهيت والغرضة ، ودخل أهل هذه البلاد في امان المسلمين ودفعوا الجزية .

والثانية بقيادة ضرار بن الخطاب ، الى (ماسبذان) عن طريق همزان ، فاحتلها عنوة ، وفر اهلها الى الجبال ، ثم استأمنوا المسلمين ، ودفعوا الجزية » [2] .

هذا التناسق والانسجام ، في توجيه الجيوش الضخمة الجرارة ، في هذه المناطق الفسيحة ، عن وعي وتخطيط ودقة ، يدلنا على عظمة عقلية سعد بن ابي وقاص ، اذ لو اقتصر الامر على مجرد النقل والتعبئة لكان ذلك كافيا لهذا الحكم فما بالنا اذا اضيف الى ذلك ما تحقق من انتصارات وما يتبع ذلك من أعباء ادارة المناطق المفتوحة ومشاكل الحكم فيها .

نموذج آخر يعطينا نفس الدلالة

« في الوقت الذي خرج فيه سعد بن ابي وقاص بجموع المسلمين

---

(١) التاريخ الاسلامي فياض
(٢) التاريخ الاسلامي للدكتور فياض ص ٢٣٥ ـ ٢٣٦

الى بلاد الفرس والتقى بهم في القادسية ، رأى الخليفة الثاني أن يخرج عتبة بن غزوان على جيش آخر الى بلاد الابلة حتى يسد على الفرس طريق انجاد قواتهم عن طريقها ويحمي جيش سعد من التطويق . هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى لفتح ثغرة ثانية في الجدار الفارسي ...

وقد استطاع عتبة بن غزوان الانتصار على الفرس واحتلال الابلة وجعل فيها مركزا لقيادته يوجه منها الجيوش الى فتح شرق فارس وكان ذلك سنة ١٤ هـ وفي هذه السنة انشأ مدينة البصرة على انقاض الابلة وجعلها على شاطيء الفرات واصبحت مصرا عظيما في سنة ١٧ هـ ومركزا للعراق الادنى الذي يليه ابن غزوان ،وبقي عتبة ثلاث سنين يجرد الحملات الحربية على الفرس في اقليم خوزستان في فارس نفسها حتى اصبح سيد شط العرب (الارض الممتدة من مجمع النهرين الى الخليج الفارسي) أي ان سواد العراق كله قد اصبح في حوزة المسلمين » .

سعد بن ابي وقاص حاكما على الكوفة

« في سنة ١٧ هـ لاحظ الخليفة تغير الوان العرب من سكنى المدائن لاختلاف جوها عن جو الصحراء فانتدب سلمان الفارسي وحذيفة بن اليمان للبحث عن مكان يصلح لاقامة العرب ، فاختاروا موقع الكوفة على الفرات أيضا وانتدب أبا هياج بن مالك لتخطيطها فخططها على نظام هندسي بارع وجعل عرض الشوارع الرئيسية أربعين ذراعا أو ثلاثين وجعل وسطها ميدانا فسيحا وبنى به المسجد وأحاطها بالحدائق الكثيرة النخيل ، وبنيت بيوتها بالبوص ثم من اللبن بعد احتراقها واصبحت الكوفة عاصمة العراق الاعلى مقرا لحاكمه سعد بن ابي وقاص واصبح العراق ولايتين : العراق الادنى وعاصمته البصرة التي خلفت (الابلة) وحاكمه عتبة بن غزوان ، والعراق الاعلى وعاصمته الكوفة التي خلفت (الحيرة) .

واستشار عتبة حاكم البصرة عمر بن الخطاب خليفة المسلمين فكلفه بردع الفرس ، وبدأت عملية تنسيق بين حاكم البصرة عتبة وبين حاكم الكوفة سعد بن ابي وقاص . وسارع سعد « فأمده بفرقة قوية وسار هذا الجيش والتقى بقوات الهرمزان في الاهواز ، وانتصر المسلمون ورغب

الهرمزان في الصلح فصالحوه على ان يخلي لهم الاهواز ، فأخلاها واحتلها المسلمون ، واصبح نهر قارون (دجيل) حدا فاصلا بين املاك المسلمين واملاك الهرمزان ، وقد اصبح بذلك (الاهواز) وجزء كبير من (خوزستان) ملكا للمسلمين ، وهي ارض فارسية اصلية » [1] .

سعد بن ابي وقاص يمثل القيادة المركزية لبلاد فارس

عرفنا ان سعد بن ابي وقاص اصبح حاكما للكوفة وشمال العراق ، وأنه يعد الجيوش ويسير الامراء والقواد وفق رأي الخلافة وتعليماتها ، ومع وجود حاكم في البصرة وهو (عتبة بن غزوان) ومع وجود كثير من الشخصيات الكبيرة على رأس الجيوش والحاميات في البلاد الا ان عمر بنور قلبه وعقله جعل الكلمة الاولى في المنطقة كلها لسعد بن ابي وقاص ، وقد رد امر العلاء بن الحضرمي حين تورط الى سعد بن ابي وقاص وهذا عتبة بن غزوان يحاول الاستقالة من الولاية تحت لواء سعد « فيحمله عمر على العمل فيموت ... بالطريق » [2] وهذه الثقة في سعد من رجل كعمر لها ما لها من قيمة بالغة لا يعرف قدرها الا من درس عمر وعرف كيف كان لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمرصاد ، يخاف عليهم من مداخل الفتنة ومن شهواتهم ، ويراقبهم في سلوكهم واحاديثهم ، يردهم ما استطاع الى الحق الواضح ، ولقد كان عمر « يعزل كل من يتهم او يؤخذ بمخالفة غير عابيء بمركزه ولا مركز اسرته لأن جميع افراد الامة في ذات الله وعند عمر سواء ، وكان لا يتوانى في مؤاخذة المخالفين منهم لانه يقول : ان عامل ظلم احدا وبلغتني مظلمته ولم أغيرها فأنا ظلمته ، من ظلمه امير فلا امرة عليه دوني » .

ومع كل هذا فقد ظل سعد بن ابي وقاص على عهده في ثقة عمر به حتى جعله عمر اخيرا في المرشحين لخلافته على المسلمين اجمعين .

معركة نهاوند

ظل سعد بن ابي وقاص يؤدي واجبه في ايمان ويقين في حماية الاسلام

---

(١) انظر التاريخ الاسلامي للدكتور فياض

(٢) انظر التاريخ الاسلامي للدكتور فياض ففيها مزيد من التفصيل

والمسلمين في بلاد فارس، وحدث ان نكص (الهرمزان) في الصلح الذي بينه وبين المسلمين وحرضه وشجعه على ذلك (يزدجرد) الثالث من ناحية، وغياب امير البصرة عتبة بن غزوان الذي سبق ان عرف مذاقه المر فأرسل عمر بن الخطاب الى سعد بن ابي وقاص « ان ابعث الى الاهواز جندا كثيفا مع النعمان بن مقرن ، وعجل فلينزلوا بازاء الهرمزان ويتحققوا امره »[1] .

« فخرج النعمان بن مقرن في اهل الكوفة »

ومعنى هذه العبارة القصيرة ان امير الكوفة سعد بن ابي وقاص وضع كل امكانيات ولايته في خدمة هذه المعركة بما في ذلك اهل الكوفة انفسهم سكان حاضرة الولاية الواسعة ، وقد استطاع المسلمون قبل معركة نهاوند الانتصار في عدة معارك استولوا فيها على (رامهرز) و (تستر) (والسوس) واسروا الهرمزان وبعثوا به الى عمر بن الخطاب ومن طريف ما ذكره ابن الاثير : « ان الهرمزان طلب ماء ليشربه فلما امسك الماء طلب الامان من عمر حتى يشرب الماء الذي بيده فأعطاه الامان فأراق الماء ولم يشربه ، وامضى عمر بن الخطاب هذه الحيلة زيادة في خلق الوفاء وتشجيعا له على الاسلام » .

اما معركة نهاوند ذاتها فيقول عنها الدكتور فياض « في سنة ٢٠ هـ (٦٤١ م) كتب يزدجرد الثالث الى جميع الولايات الفارسية التابعة له ان تبعث اليه ما تقدر على حشده من الجنود ليعيد تجربة حظه من جديد في ضربة قوية تجعل العرب يعودون من حيث اتوا الى جوف الصحراء فجاءته الجنود من كل مكان تلبي نداء كسرى ــ من شواطىء بحر قزوين شمالا الى المحيط الهندي جنوبا ــ ومن نهر جيحون شرقا الى خليج فارس ــ وتجمع له اكثر من مائة الف وخمسين الف رجل ــ وعين للقيادة العامة لهذا الجيش القائد الفارسي الكبير فيروزان وكانت خطتهم ان يسير الجيش الى همزان، ثم الى حلوان ثم الى الكوفة للالقاء بالعرب الى الصحراء[2] . »

هذا من ناحية الفرس اما من ناحية المسلمين فقد عرفنا كيف ان سعد

---

(١) الكامل لابن الاثير ج ٢ ص ٢٣١
(٢) الخلفاء الراشدون ص ٢٤٠ .

ابن ابي وقاص سير النعمان بن مقرن بأمر من عمر ، وكيف انه حصل على نصر اثر نصر قبل ان يصل الى حيث يعسكر كسرى نفسه ويتحدث الدكتور فياض عن النعمان بن مقرن في نهاوند فيقول :

« وحمل لواء المسلمين في معركة جديدة يتوقف عليها المصير النهائي لاحد الفريقين في ارض العجم وكان جيشه قرابة ثلاثين الف مسلم ووصل النعمان بجيشه الى حلوان وارسل كتائب الاستطلاع لتكشف له امر الجيش الفارسي ، وجاءته عيونه بأن الفرس قد عسكروا بمدينة نهاوند (جنوب همزان) والطريق اليها خال من العقبات والقوات الفارسية فزحف النعمان بجيشه حتى وقف في مواجهة الجيش الفارسي ... اشار طليحة الاسدي بخطة تقضي بهجوم المسلمين هجوما خفيفا يعقبه تقهقر منظم ليخرج الفرس خلفهم فاذاخرجوا انقلبوا اليهم مقاتلين بعيدا عن الخنادق والحصون ونفذت هذه الخطة بمهارة فائقة ، فهجموا وتقهقروا وتتبعهم الفرس ثم دار المسلمون عليهم واقتتلوا بالسيوف قتالا مريرا فقد فيه الفرس ثلاثين الف قتيل وهرب الباقون فطاردهم المسلمون وخسر الفرس معظم جيشهم وكان بمثابة الورقة الاخيرة في المغامرة وقتل قائدهم فيروزان واحتل المسلمون نهاوند ثم همزان [1] .

والسبب الذي دعا للتوسع في ذكر معركة نهاوند هو شدة اهمية هذه المعركة ونتائجها المصيرية بالنسبة للمسلمين او الفرس،مما يجعلها من مفاخر سعد الذي اعد لها وجهز بكل طاقاته وظل ببصره وقلبه وعقله واستعداده مشدودا للمسلمين بها حتى تم لهم النصر .

يقول الدكتور فياض: «وكان نصر المسلمين في نهاوند شبيها بفوزهم في القادسية فقد فتحت القادسية ابواب فارس على مصاريعها ، وجاءت نهاوند فحطمت الكسروية واخرجتها مع كسرى من باب خلفي الى غير رجعة ، ولهذا سميت بفتح الفتوح لان المسلمين لم يشتبكوا مع الفرس بعدها في معركة كبيرة مثلها ... ولهذا غيرعمر خطته ولم يعد بعدها يخشى

---

(١) الخلفاء الراشدون ص ١٤١ – ١٤٢

توغل المسلمين في فارس » [1]

سعد بن ابي وقاص يعزل عن ولاية الكوفة ولكنه يحتفظ بثقة الخليفة ويعلو فوق الازمة

يقول ابن الاثير :

« وفي هذه السنة اعني سنة عشرين هـ .... عزل عمر سعد بن ابي وقاص عن الكوفة لشكايتهم اياه [2] .

هذا العزل لسعد ليس غريبا وليس مفاجأة بعد هذا النصر العظيم الذي احرزه ، ومع هذه الاخلاق السمحة في القيادة والحكم والادارة .

قال ابن الاثير :

« فقال لهم عمر : والله ما يمنعني ما نزل بكم من النظر فيما لديكم فبعث عمر محمد بن مسلمة والناس في الاستعداد للفرس ، وكان محمد صاحب العمال يقتص آثار من شكي زمان عمر فطاف بسعد على اهل الكوفة يسأل عنه فما سأل عنه جماعة الا أثنوا عليه خيراً سوى من مالأ الجراح الاسدي ـ الذي تولى كبر الوفد الذي ذهب يشكو سعدا لعمر ـ فانهم سكتوا ولم يقولوا سوءا ولا يسوغ لهم حتى انتهوا الى بني عبس فسألهم فقال اسامة بن قتادة : اللهم انه لا يقسم بالسوية ولا يعدل في القضية ولا يغزو في السرية » [3] .

والذي ينظر في تفاصيل هذه الشكوى يطمئن الى كذبها سريعا فهي من الامور التي يهتم بها سعد ، ولقد اكدت هذه الشكوى جانب خير في سعد يعرفه الناس عنه . لانه حين فوجيء بهذا القول دعا على الرجل فاستجاب الله دعاءه .

يقول ابن الاثير :

« فقال سعد : اللهم ان كان قالها رياء وكذبا وسمعة فأعم بصره وأكثر عياله وعرّضه لمضلات الفتنة . فعمي واجتمع عنده عشر بنات، وكان

---

(١) التاريخ الاسلامي للدكتور فياض
(٢) الكامل جـ ٢ ص ٢٤٠
(٣) هذه النصوص من كتاب (الكامل جـ ٣ ص ٢٢١)

يسمع بالمرأة فيأتيها حتى يجسها ، فاذا عير عليها قال : دعوة سعد الرجل المبارك » [1] .

والخلاصة ان الاتهامات التي وجهت الى سعد كانت بطبيعتها من النوع الذي لا يتأتى لسعد ان يصنعه ، وقد صور سعد نفسه هذا المعنى وهو يدافع عن نفسه فقال : « اني اول رجل أهرق دما من المشركين ، ولقد جمع لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ابويه وما جمعهما لاحد قبلي ، ولقد رأيتني خمس الاسلام وبنو اسد تزعم اني لا احسن اصلي وان الصيد يلهيني » [2] .

والحقيقة انه لولا حرص عمر على ان تأخذ الامور وضعها من حيث تحقيق أي شكوى من مظلوم لما نظر في شكوى هذا النفر من سعد . وقد سأل عمر سعدا قائلا : « كيف تصلي يا سعد قال : أطيل الاولين واخفف الاخريين فقال : هكذا الظن بك يا ابا اسحق ، ولولا الاحتياط لكان سبيلهم بيّنا » [3] ثم اراد عمر ان يشعر سعدا بثقته في سياسته وفي الرجال الذين يعتمد عليهم ، فقال عمر لسعد : « من خليفتك يا سعد على الكوفة فقال : عبد الله بن عبد الله بن عتبان فأقره » [4] وظل سعد بن ابي وقاص موضع ثقة عمر الذي كان يعرفه عن خبرة طويلة وواعية ، وقد عرف بنفسه ومندوبه محمد بن مسلمة كذب الشكوى ، بل ورأى من ثقات المسلمين من يأتي بكلام مقصود يرد به على شكوى الشاكين فقد سأل عمر بن الخطاب عمرو ابن معدي كرب عن خبر سعد بن ابي وقاص فقال : « متواضع في خبائه ، عربي في نمرته ، أسد في تامورة ، يعدل في القضية ، ويقسم بالسوية ، ويبعد في السرية ، ويعطف علينا عطف الام البرة ، وينقل الينا حقنا نقل الذرة » .

ومر بعمر بن الخطاب (جرير) فسأله عن سعد بن ابي وقاص فقال : تركته في ولايته اكرم الناس مقدرة ، واقلهم قسوة ، وهو لهم كالام البرة ، يجمع لهم كما تجمع الذرة ، أشد الناس عند البأس ، وأحب قريش الى الناس [5] .

(١،٢،٣) هذه النصوص من كتاب (الكامل جـ ٣ ص ٢٢١)
(٤،٥) اسد الغابة جـ ٢ ص ٢٩١ ــ ٢٩٢

ولم تتغير ثقة عمر في سعد حتى لقى عمر ربه يقول ابن الاثير :

« فلما حضرت عمر الوفاة جعله احد اصحاب الشورى وقال : ان ولي سعد الامارة فذاك ، والا فأوصي الخليفة بعدي ان يستعمله فاني لم اعزله من عجز ولا خيانة [1] .

وقد استجاب عثمان بن عفان لوصية عمر فاستعمله واليا على الكوفة. ولكن ما لبث سعد ان آثر العزلة والبعد عن الخوض في غمار الحياة لما اصابها من تغير وتبدل ، وكان له رضي الله عنه موقفه المشهود في رفضه الاقتراب من مجال الخلاف .

سعد يعتزل الفتنة ويرفض الخلافة

يقول ابن الاثير :

« ولما قتل عثمان اعتزل الفتنة ، ولم يكن مع احد من الطوائف المتحاربة بل لزم بيته ، واراد ابنه عمر ، وابن اخيه هاشم بن عتبة بن ابي وقاص ان يدعو ــ أي سعد ــ الى نفسه بعد قتل عثمان فلم يفعل وطلب السلامة » .

سعد بن ابي وقاص الذي كان يرشحه عمر للخلافة ، ومعه ابن اخيه هاشم بن عتبة بن ابي وقاص وهو القائد الذي ذاع صيته كواحد من امهر قواد المسلمين في معارك القادسية وما بعدها بفارس . سعد هذا يرفض الخلافة ويؤثر السلامة لدينه ، وقد ظهرت آراؤه التي بنى على اساسها هذا الموقف حين حاول معاوية ان يستدرجه الى جانبه .

يقول ابن الاثير :

«فلما اعتزل (سعد) طمع فيه معاوية وفي عبدالله بن عمر وفي محمد بن مسلمة فكتب اليهم يدعوهم الى أن يعينوه على الطلب بدم عثمان، ويقول ــ أي معاوية ــ الكم لا تكفرون ما آتبتموه من خذلانه الا بذلك، فأجابه كلّ واحد منهم يرد عليه ما جاء به وكتب اليه سعد أبيات شعر (يضمنها رأيه) :

(١،٢) اسد الغابة جـ ٢ ص ٢٩١ ــ ٢٩٢

معاوى داؤك الداء العيـاء
وليس لما تجيء بـــه دواء
أيدعونـي أبو حسن علـيّ
فلم أردد عليـه مـا يشـاء
وقلت له أعطني سيفا قصيرا
تَميزُ به العـداوة والولاء
أتطمع في الذي أعيـا عليًّـا
على ما قد طمعت به العفـاء
ليوم منه خير منـك حيـا
وميتا أنـت للمرء الفداء [1]

وتتضح نظرية سعد في بُعده عن الفتنة وضوحا تاما من هـذا النص الذي رواه ابن سعد في طبقاته يقول :

« عن أيوب عن محمد قال : ثبُت أن سعدا كان يقول : ما أزعم أني بقميصي هذا أحق مني بالخلافة ، قد جاهدت اذ أنا أعرف الجهـاد ، ولا أبخع نفسي ان كان رجل خيرا مني . لا أقاتل حتى تأتوني بسيف له عينان ولسان وشفتان ، فيقول : هذا مؤمن وهذا كافر [2] » .

ومعنى ذلك أن تشعب الآراء وتعدد وجهات النظر بين المسلمين حال دون وضوح الرؤية الصحيحة حتى يعرف الانسان وجه الحق ويستيقـن أنه يقاتل في سبيله ،والمسألةمسألة دماء وأرواح لا تصلح للمغامرةوالمناورة، وانما الاعتقاد واليقين والوضوح أمور لا بد منها ، والا فالبعد عن الفتـن أسلم للدين وأبرأ للذمة ، وأرضى للضمير ، لقد كان سعد في مقدمة الرجال الكبار الذين يقيسونالحياة بهذا المقياس ،وليس بشهوات الدنيا وأهوائها، فهو رجل مبارك موصول الصلة بالله سبحانه ، لا يمسك بسيفـه الا عـن طمأنينة أنه لرفع شأن المسلمين . قال ابن سعد في طبقاته . « أخبرنا شعبة عن يحيى ابن الحصين قال : سمعت الحيّ يتحدثون أن أبي قال لسعد : ما

(١) اسد الغابة جـ٢ ص ٢٩٢
(٢) الطبقات جـ ٣ ص ١٤٣

يمنعك من القتال ؟ قال : حتى تجيئوني بسيف يعرف المؤمن من الكافر[1]. وهذا النص يدل على تعدد الطرق في موقف سعد الذي ذكرناه ، مما يجعل موقفه ورأيه ثابتا لا تردد فيه ، ذكره لابن أخيه هاشم واقنعه ، وذكره لاصحابه من جيله وأقنعهم حتى عرف الحيّ كله منطق سعد وتحدث به فيحيى بن الحصين يقول في صدر النص : سمعت الحي يتحدثون ... ومسألة الرأي في حالة العجز قد لا تدل على الورع الحقيقي أو العفة الصادقة والزهد الاصيل ، ولكن الزهد في الشيء مع القدرة عليه لا يدع مجالا للشك في الحكم على الرجل . يقول الامام ابن حجر صاحب الاصابة عن سعد : « وجاءه ابن أخيه هاشم بن عتبة فقال له : ها هنا مائة ألف سيف يرونك أحق بهذا الامر . فقال : أريد منها سيفاواحدا اذا ضربت به المؤمن لم يصنع شيئا ، واذا ضربت به الكافر قطع [2] » .

لقد كان سعد بن أبي وقاص يعد لهذا اليوم عدته فاعتزل بعيدا عن الناس واختار أن يسكن علىأطراف المدينة بالعقيق ، فمنذ لاحت في الافق آثار تغير النفوس ، عاد من الكوفة ليعيش بعيدا عن الناس .

اخرج محمد بن عثمان ابن أبي شيبة في تاريخه بسند جيد عن أبي اسحاق قال : كان أشد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة : عمر ، وعليّ ، والزبير ، وسعد . وجاء في مسند ابي يعلى عن ابن سعد بن أبي وقاص أن أباه حين رأى اختلاف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرقهم اشترى أرضا ثم خرج واعتزل فيها بأهله [3] .

نعم عاش سعد بعيدا معتزلا خوفا من الفتن ، ليبقى محتفظا بفطرته السليمة التي تركه عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والشيخان أبو بكر وعمر ، فلما وقعت الفتنة كان موقفه الخالد الذي عرفناه ، فأضاف الى رصيده من التقوى والورع ما أرضى عنه ربه وخيار خلقه ، وتجلى تعلق الناس به وارتباط عواطفهم بمبادئه حين جاءت النهاية التي لا بد أن يذوقها كل حي .

---

(١) الطبقات ج ٣ ص ١٤٤
(٢،٣)الاصابة ج ٣

موت سعد كان آخر المهاجـرين

قال ابنه عامر :

كان سعد آخر المهاجرين موتا [1] يقصد الرجال فقط .

تعلق القلوب به وتكريم الصالحين والصالحات له

عن عائشة بنت سعد قالت :

مات أبي ، رحمه الله ، في قصره بالعقيق على عشرة أميال من المدينة ، فحمل الى المدينة على رقاب الرجال وصلى عليه مروان بن الحكم وهو يومئذ والي المدينة ، ودلك في سنة خمس وخمسين ، وكان يوم مات ابن بضع وسبعين سنه على الارجح [2] . وقيل غير ذلك .

وأبلغ دلالة على تعلق القلـوب الطاهـرة بسعد وتكريم الصالحـين والصالحات من خيار الناس له ما روي عن أمهات المؤمنين وعـن السيدة عائشة رضي الله عنها حين سمعن بقرب دفن سعد رضي الله عنه ، فقـد أصررن على وداعه والدعاء له .

قال ابن سعد :

أخبرنا عفان بن مسلم ــ بسنده ــ عن عائشة أنه لما توفي سعد بـن أبي وقاص أرسل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أن يمروا بجنازته في المسجد ، ففعلوا فوقف به على حجرهن فصلين عليه وخرج به مـن بـاب الجنائز الذي كان الى المقاعد ، فبلغهن أن الناس عابوا ذلك وقالـوا : مـا كانت الجنائز يدخل بها المسجد فبلغ ذلك عائشة فقالت : ما أسرع النـاس الى أن يعيبوا ما لا علم لهم به ، عابوا علينا أن يمرّ بجنازة في المسجد وما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على سهيل بن بيضاء الا في جـوف المسجد [3] .

وعن يزيد مولى الاسود قال : كنت عند سعيد بن المسيب فمر عليـه عليّ بن حسين فقال : أين صلي على سعد بن أبي وقاص ؟ قال : شق بـه

---

(١) اسد الغابة جـ ٣ ص ٢٩٣
(٢) الطبقات جـ ٣ ص ١٤٨
(٣) الطبقات جـ ٣ ص ١٤٨

المسجد الى أزواج النبي صلى الله عليه وسلم : ارسلن اليهم : انا لانستطيع أن نخرج اليه نصلي عليه ، فدخلوا به فقاموا به على رؤوسهن فصلين عليه [1] .

هذه النصوص تقطع بأن تصرف زوجات النبي صلى الله عليه وسلم كان ميزة خاصة بسعد ، ولم يكن يألف الناس مثل هذا التصرف مع غيره مما أثار طائفة من الاستفسارات او الاعتراضات التي جعلت عائشة ترد على الناس بمنطق الفقه والدليل ، ولقد كان سعد رضي الله عنه أهلا لهذا الاهتمام الكبير فقد عاش ومات مجاهدا في سبيل الله جنديا وقائدا ورجلا من عامة المسلمين وهو في الحقيقة قمة من قممهم الكريمة .

لقد كان آخر ما خبأه سعد ليكون نهاية صلته بالدنيا كفنه الذي سيكفن فيه :

روى ابن حجر عن عامر بن سعد أنه قال : « كان سعد آخر المهاجرين موتا ولما حضرته الوفاة دعا بخلق جبة له من صوف فقال : كفنوني فيها فاني كنت لقيت المشركين فيها يوم بدر وهي علي ، وانما كنت أخبؤها لهذا [2] » أخرجه الثلاثة .

---

(١) الطبقات جـ ٣ ص ١٤٨
(٢) اسد الغابة جـ ٢ ص ٩٣

وصف كامل لموقعة القادسية
مقدماتها ونتائجها

تكلمنا في ثنايا البحث عن النواحي التحليلية في شخصية سعد بن ابي وقاص ، واوردنا ما يتصل بذلك من تعليقات موجزة خاصة بموقفه في القادسية .

ورأينا أن نورد في هذا الفصل وصفا كاملا لمقدمات هذه الموقعة التاريخية الهامة وما جاء فيها من توجيهات عمرية ، وما حدث أثناءها من مخاطبات هامة بين بعض المسلمين وبين قادة الفرس ومن حرب طاحنة ، انتهت بنصر المسلمين ومحق الكافرين وهذا الوصف الكامل يقدمه لنا الامام ابن كثير في كتابه (البداية والنهاية) قال ابن كثير متحدثا عن السنة الرابعة عشرة من الهجرة : استهلت هذه السنة والخليفة عمر بن الخطاب يحث الناس ويحرضهم على جهاد اهل العراق ، وذلك لما بلغه عن قتل ابي عُبَيْدٍ يوم الجسر ، وانتظام شمل الفرس ، واجماعهم على يزدجرد ونقض اهل الذمة من العراق عهودهم ونبذهم المواثيق التي كانت عليهم ، وآذوا المسلمين ، واخرجوا العمال من بين اظهرهم .

قال ابن جرير رحمه الله :

« وركب عمر في أول يوم من المحرم من هذه السنة في الجيوش من المدينة ، فنزل على ماء يقال له صرار فعسكر به عازما على غزو العراق بنفسه ، واستخلف على المدينة علي بن ابي طالب ، واستصحب معه عثمان ابن عفان وسادات الصحابة ثم عقد مجلسا لاستشارة الصحابة فيما عزم عليه ونودي الصلاة جامعة ، وقد أرسل الى علي فقدم من المدينة ثم استشارهم فكلهم وافقوه على الذهاب الى العراق ، الا عبد الرحمن بن عوف فانه قال له :

اني أخشى ان كسرت أن يضعف المسلمون في سائر اقطار الارض ،

واني أرى ان تبعث رجلا الى العراق وترجع أنت الى المدينة ، فاستصوب الناس وعمر رأى ابن عوف فقال عمر : فمن ترى أن نبعث الى العراق، فقال: قد وجدته ، قال : ومن هو ؟ : قال : الاسد في براثنه سعد بن مالك الزهري فاستجاد قوله .

وأرسل الى سعد فأمره على العراق وأوصاه فقال : «يا سعد بن وهب لا يغرنك من الله ان قيل خال رسول الله وصاحبه ،فان الله لا يمحو السيء بالسيء ولكن يمحو السيء بالحسن ، وأن الله ليس بينه وبين أحد نسب الا بطاعته ، كالناس شريفهم ووضيعهم في ذات الله سواء ، الله ربهم وهم عباده، يتفاضلون بالعافية ، ويدركون ما عند الله بالطاعة .

فانظر الامر الذي رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ بعث الى ان فارقنا عليه فالزمه فانه الامر .

هذه عظتي اليك اياك ان تركتها ورغبت عنها حبط عملك وكنت من الخاسرين » .

ولما أراد فراقه قال له :

« انك ستقدم على امر شديد فالصبر الصبر على ما أصابك ،واعلم ان خشية الله تجتمع في امرين ، في طاعته واجتناب معصيته ، وانما طاعة من أطاعه ببغض الدنيا وحب الاخرة وانما عصيان من عصاه بحب الدنيا وبغض الاخرة . وللقلوب حقائق ينشئها الله انشاء ، منها السر ومنها العلانية ،فاما العلانية، فان يكون حامده وذامه في الحق سواء، وأما السر فيعرف بظهور الحكمة من قلبه على لسانه ، وبمحبة الناس، ومن محبة الناس . فلا تزهد في التحبب فان الذميين قد سألوا محبتهم،وان الله اذا أحب عبدا حببه،واذا أبغض عبدا بغضه ، فاعتبر منزلتك عند الله بمنزلتك عند الناس ... »

ثم قال عمر رضي الله عنه :

« ان الله انما ضرب لكم الامثال ،وصرف لكم القول لتحيا القلوب فان القلوب ميتة في صدورها حتى يحييها الله، من علم شيئا فلينتفع به، فان للعدل امارات ، وتباشير ، فاما الامارات فالحياء والسخاء والهين واللين ، وأما التباشير فالرحمة . وقد جعل الله لكل أمر بابا ، ويسر لكل باب مفتاحا ، فباب العدل الاعتبار ، ومفتاحه الزهد ، والاعتبار ذكر الموت ، والاستعداد

بتقديم الاموال ، والزهد اعطاء كل ذي حق حقه ، والاكتفاء بما يكفيه من الكفاف ، فان لم يكفه الكفاف لم يغنه شيء . اني بينكم وبين الله وان الله قد الزمني دفع الدعاء فانهوا شكاتكم الينا، فمن لم يستطع فالى من يبلغناها نأخذ له الحق غير متعتع .

ثم سار سعد الى العراق ، ورجع عمر بمن معه من المسلمين الى المدينة .

ولما انتهى سعد الى نهر زرود ، ولم يبق بينه وبين أن يجتمع بالمثنى ابن حارثة الا اليسير وكل منهما مشتاق الى صاحبه ، انتقض جرح المثنى ابن حارثة الذي كان جرحه يوم الجسر فمات واستخلف على الجيش بشير ابن الخصاصية . ولما بلغ سعدا موته ترحم عليه وعمل بوصاياه ، ولما وصل سعد الى محلة الجيوش انتهت اليه رياستها وامرتها ، ولم يبق بالعراق امير من سادات العرب الا تحت امره ، وأمده عمر رضي الله عنه بأمداد أخر حتى اجتمع معه يوم القادسية ثلاثون ألفا وقيل ستة وثلاثون وكتب عمر الى سعد ان يجعل الامراء على القبائل ، والعرفاء على كل عشرة عريف ، وان يواعدهم القادسية ففعل ذلك سعد ، عرف العرفاء ، وأمر على القبائل ، وولي على الطلائع ، والمقدمات ، والمجنبات ، والساقات ، والرجالة ، والركبان ، كما أمر امير المؤمنين عمر .

قال سيف باسناده عن مشايخه قالوا :

وجعل عمر على قضاء الناس عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي ذا النون ، وجعل اليه الاقباض وقسمة الفيء ، وجعل داعية الناس وقاصهم سلمان الفارسي ، وجعل الكاتب زياد بن ابي سفيان ، قالوا وكان في هذا الجيش كله من الصحابة ثلثمائة وبضعة عشر صحابيا منهم بضعة وسبعون بدريا وكان فيه سبعمائة من أبناء الصحابة رضي الله عنهم وبعث عمر كتابه الى سعد يأمره بالمبادرة الى القادسية . والقادسية باب فارس في الجاهلية ، وان يكون بين الحجر والمدر ، وأن يأخذ الطرق والمسالك على فارس ، وان يبيدوهم بالضرب والشدة ، ويقول في كتابه : لا تهولنك كثرة عددهم ، وعُددهم فانهم قوم خدعة مكرة، وان انتم صبرتم واحسنتم ونويتم الامانة رجوت ان تنتصروا عليهم ، ثم لم يجتمع لهم شملهم ابدا الا أن يجتمعوا

وليست معهم قلوبهم ، وآمرهم بالنية الحسنة والصبر فان النصر يأتي من الله على قدر النية وسلوا الله العافية ، واكثروا من قول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

واكتب الي بجميع احوالكم وتفاصيلها ، وكيف تنزلون واين يكون منكم عدوكم ، واجعلني بكتبك الي كأني انظر اليكم واجعلني من امركم على الجلية ، وخف الله وارجه ، ولا تدل بشيء ، واعلم ان الله قد توكل لهذا الامر بما لا خلف له ، فاحذر ان يصرفه عنك صارف ويستبدل بكم غيركم » . فكتب اليه سعد يصف له كيفية تلك المنازل والاراضي بحيث كأنه يشاهدها ، وكتب اليه يخبره بأن الفرس قد جردوا لحربه رستم وأمثاله فهم يطلبوننا ونحن نطلبهم ، وامر الله بعد ماض وقضاؤه مسلم ، الى ما قدر لنا وعلينا فنسأل الله خير القضاء وخير القدر في عافية .

وكتب اليه عمر : « قد جاءني كتابك وفهمته . فاذا لقيت عدوك ومنحك الله أدبارهم فانه قد القي في روعي أنكم ستهزمونهم فلا تشكن في ذلك ، فاذا هزمتهم فلا تنزع عنهم حتى تفتحم عليهم المدائن فانه خرابها ان شاء الله » . وجعل عمر يدعو لسعد خاصة وله وللمسلمين عامة .

ولما بلغ سعد العذيب اعترض للمسلمين جيش للفرس مع شيرزاد بن اراذويه ، فغنموا مما معه شيئا كثيرا ووقع منهم موقعا كبيرا ، فخمسها سعد وقسم أربعة أخماسها في الناس ، واستبشر الناس بذلك وفرحوا وتفاءلوا وأفرد سعد سرية تكون حياطة لمن معهم من الحريم وعلى هذه السرية غالب ابن عبد الله الليثي .

ثم سار سعد فنزل القادسية وبث سراياه .. واجتمع رأي الفرس على ارسال رستم فبعث اليه يزدجرد فامره على الجيش فاستعفى رستم من ذلك وقال : ان هذا ليس برأي في الحرب . ان ارسال الجيوش بعد الجيوش اشد على العرب من أن يكسروا جيشا كثيفا مرة واحدة . فأبى الملك الا ذلك فتجهز رستم للخروج ، ثم بعث سعد كاشفا الى الحيرة والى صلوبا فأتاه الخبر بأن الملك قد أمر على الحرب رستم بن الفرجزاذ الارمني وأمده بالعساكر . فكتب سعد الى عمر بذلك فكتب اليه عمر : لا يكربنك ما يأتيك عنهم ولا يأتونك به ، واستعن بالله وتوكل عليه ، وابعث اليه

رجالا من أهل النظر والرأي والجلد يدعونه فان الله جاعل دعاءهم توهينا لهم وفلجا عليهم ، واكتب الي في كل يوم .

ولما اقترب رستم بجيوشه عسكر بساباط وجر الخيول والفيول واخذ يزحف بها ، وعبأ رستم فجعل على المقدمة وهي اربعون الفا الجالنيوس وعلى الميمنة الهرمزان ، وعلى الميسرة مهران بن بهرام وذلك ستون الفا ، وعلى الساقة البندران في عشرين الفا ... قال سيف : وكان رستم في مائة الف وعشرين ألفا يتبعها ثمانون ألفا .

ثم بعث سعد جماعة من السادات منهم النعمان ابن مقرن وفرات بن حبان وحنظلة بن الربيع التميمي وعطارد بن حاجب والاشعث بن قيس والمغيرة بن شعبة وعمرو بن معدي كرب يدعون رستم الى الله عز وجل فقال لهم رستم : ما أقدمكم ؟ فقالوا : جئنا لموعود الله ايانا ، أخذ بلادكم وسبي نسائكم وابنائكم واخذ اموالكم فنحن على يقين من ذلك .

فجعل رستم يقول :

انكم جيراننا وكنا نحسن اليكم ونكف الاذى عنكم فارجعو الى بلادكم ولا نمنع تجارتكم من الدخول الى بلادنا . فقالوا له :

انه ليس طلبنا الدنيا وانما همنا وطلبنا الاخرة وقد بعث الله الينا رسولا هدانا الله به ونحن ندعوكم الى هذا الدين الذي يدعو الى عبادة الله ، وترك عبادة العباد . هو دين الحق لا يعتصم به أحد الا عز ولا يرغب عنه احد الا ذل .

فقال رستم : فما هو ؟ فقالوا :

اما عموده الذي لا يصلح شيء الا به :

فشهادة أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ،والاقرار بما جاء به من عند الله .

فقال رستم : ما أحسن هذا وأي شيء ايضا ؟ قالوا : والناس بنو آدم فهم اخوة لاب وأم .

قال : وحسن ايضا . ثم قال رستم :

ارأيتم ان دخلنا في دينكم ارجعون عن بلادنا قالوا : نعم لا نقرب بلادكم الا في تجارة او حاجة.ولما خرج من عنده الوفد ذاكر رستم قومه

في الاسلام فانفوا وابوا ان يدخلوا في الاسلام وقبل الاشتباك بعث سعد طائفة من أصحابه الى كسرى يدعونه الى الله قبل الوقعة فاستأذنوا على كسرى فاذن لهم ، وخرج أهل البلد ينظرون اليهم والى ثيابهم وسياطهم بايديهم وجعلوا يتعجبون كيف مثل هؤلاء يقهرون جيوشهم مع كثرة عددها وعددها ، ولما استأذنوا على الملك يزدجرد أذن لهم واجلسهم بين يديه وكان متكبرا ، ثم جعل يسألهم عن اجترائهم عليهم وما الذي أقدمهم الى بلادهم ؟ فقال له النعمان بن مقرن : ان الله رحمنا فأرسل الينا رسولا يدلنا على الخير ويأمرنا به ويعرفنا الشر وينهانا عنه ووعدنا على اجابته خير الدنيا والاخر ، فعرفنا فضل ما جاء به على الذي كنا عليه من العداوة والبغضاء والضيق وأمرنا ان نبدأ بمن يلينا من الامم فندعوهم الى الانصاف . فنحن ندعوكم الى ديننا وهو دين الاسلام ، حسّن الحسن وقبّح القبيح كله ،فان ابيتم فأمر من الشر هو اهون من آخر شر منه ــ الجزاء ــ أي الجزية فان ابيتم فالمناجزة ــ أي الحرب ــ وان اجبتم الى ديننا خلفنا فيكم كتاب الله ،وأقمناكم عليه على ان تحكموا بأحكامه ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم وان اتيتمونا بالجزية قبلنا ومنعناكم .

فتكلم يزدجرد فقال :

اني لا أعلم في الارض أمة كانت اشقى ولا اقل عددا ولا اسوأ ذات بين منكم ، قد كنا نوكل بكم بعض قرى الضواحي ليكفوناكم ...فان كان عدوكم كثيرا فلا يغرنكم منا ، وان كان الجهد دعاكم فرضنا لكم قوتا الى خصبكم واكرمنا وجوهكم وكسوناكم وملكنا عليكم ملكا يرفق بكم .

فقام المغيرة بن شعبة فقال :

أيها الملك ان هؤلاء رؤوس العرب ووجوههم وهم اشراف يستحيون من الاشراف وانما يكرم الاشراف الاشراف ويعظم حقوق الاشراف الاشراف ...

وليس كل ما تكلمت به أجابوك عليه ، فجاوبني : انك قد وصفتنا صفة لم تكن بها عالما .

فاما ما ذكرت من سوء الحال فما كان أسوأ حالا منا ، واما جوعنا فلم يكن يشبه الجوع ، واما المنازل فانما هي ظهر الارض ، ولا نلبس الا ما

غزلنا من أوبار الابل وأشعار الغنم ، ويقتل بعضنا بعضا ويبغي بعضنا على بعض وان كان احدنا ليدفن ابنته حية مخافة ان تأكل من طعامه . فبعث الله الينا رجلا معروفا نعرف نسبه ونعرف وجهه ومولده .

فأرضه خير أرضنا وحسبه خير أحسابنا وبيته خير بيوتنا وقبيلته خير قبائلنا وهو نفسه كان خيرنا في الحال التي كان فيها اصدقنا واحلمنا فدعانا الى الله فقال لنا :

ان ربكم يقول : أنا الله وحدي لا شريك لي كنت اذ لم يكن شيء ، وكل شيء هالك الا وجهي ، وأنا خلقت كل شيء والي يصير كل شيء وان رحمتي ادركتكم فبعثت اليكم هذا الرجل لأدلكم على السبيل التي انجيكم بها بعد الموت من عذابي ولاحلكم داري دار السلام فنشهد عليه انه جاء بالحق من عند الحق ، وقال : من تابعكم فله مالكم وعليه ما عليكم ، ومن أبى فاعرضوا عليه الجزية ثم امنعوه مما تمنعون منه انفسكم ، ومن ابى فقاتلوه فأنا الحكم بينكم فمن قتل منكم ادخلته جنتي ، ومن بقي منكم اعقبته النصر على من نأواه فاختر ان شئت الجزية وانت صاغر وان شئت فالسيف ، او تسلم فتنجي نفسك .

فقال يزدجرد : اتستقبلني بمثل هذا ؟ قال ما استقبلت الا من كلمني ولو كلمني غيرك ما استقبلتك به فقال : لولا ان الرسل لا تقتل لقتلتكم ، لا شيء لكم عندي ، وقال ائتوني بوقر من تراب فاحملوه معكم وأعلموا صاحبكم اني مرسل اليه رستم حتى يدفنه وجنده في خندق القادسية وينكل به وبكم من بعد فحملوا التراب وخرجوا من عنده وساروا حتى وصلوا الى سعد فبشروه وقصوا له المقابلة ومسألة التراب الذي حملهم ، وقالوا : ان هذه بشرى باستيلائنا على أرضهم .

وجاء رستم فقص عليه الملك قصة رسل سعد وكيف انه حملهم التراب فاستهجن رأي الملك وتشاءم من أخذ العرب للتراب وبعث في أثرهم ليأتي بالتراب فسبقوه ولم يدركهم .

وكانت وقعة القادسية وقعة عظيمة لم يكن بالعراق أعجب منها .

وكان سعد رضي الله عنه كما قدمنا قد أصابه عرق النسا ودامل في جسمه تمنعه الركوب والمشي وانما هو في القصر يتكىء على صدره فوق

وسادة وهو ينظر الى الجيش ويدير أمره وقد جعل امر الحرب لخالد ابن عرفطة ، وجعل على الميمنة جرير بن عبد الله البجلي،وعلى الميسرة قيس ابن مكشوح وكان قيس والمغيرة بن شعبة قد قدما على سعد مددا من عند ابي عبيدة من الشام بعد ما شهدا موقعة اليرموك وقبل نشوب القتال أمر سعد كما تقدم بقراءة سورة الانفال وصلى الظهر وكبر وكان يوصي الجيش بالتكبير وقول لا حول ولا قوة الا بالله ثم كبر سعد ثلاث تكبيرات وفي الرابعة حملوا على الاعداءفاقتتلوا حتى كان الليل فتحاجزوا ، وقد قتل من الفريقين بشر كثير ، ثم اصبحوا الى مواقفهم فاقتتلوا يومهم وعامة ليلتهم ، ثم اصبحوا كما أمسوا على مواقفهم فاقتتلوا حتى امسوا ثم اقتتلوا في اليوم الثالث كذلك وامست هذه الليلة تسمى ليلة الهرير فلما أصبح اليوم الرابع اقتتلوا قتالا شديدا ، وقد قاسوا من الفيلة بالنسبة للخيول العربية بسبب نفرتها منها امرا بليغا ، وقد أباد الصحابة الفيلة ومن عليها وقلعوا عيونها ، وابلى جماعة من الشجعان في هذه الايام مثل طليحة الاسدي وعمرو بن معدي كرب ، والقعقاع بن عمرو ، وجرير بن عبد الله البجلي ، وضرار بن الخطاب ، وخالد بن عرفطة ، واشكالهم واضرابهم .

فلما كان وقت الزوال من هذا اليوم ويسمى يوم القادسية ، هبت ريح شديدة فرفعت خيام الفرس عن اماكنها وألقت سرير رستم الذي هو منصوب له، فبادر فركب بغلته وهرب فادركه المسلمون وادركوا الجالينوس مقدم الطلائع القادسية .

وانهزم الفرس على بكرة ابيهم ولحقهم المسلمون في أقفائهم فقتل يومئذ المسلسلون بكمالهم وكانوا ثلاثين الفا ، وقتل في المعركة عشرة الاف ، وقتلوا قبل ذلك قريبا من ذلك .

وكان عمرو بن معدي كرب الزبيدي يقاتل قتالا شديدا ويمر بالجيش فيقول :

يا معشر المهاجرين كونوا اسودا فانما الفارس تيس .

وقتل الله رستما وكان الذي قتله رجل يقال له هلال ابن علقمة التميمي رماه رستم بنشابة فاصاب قدمه وحمل عليه هلال فقتله واحتز رأسه وولت الفرس فتبعهم المسلمون يقتلونهم فأدركوهم في مكان قد نزلوا فيه واطمأنوا

فبينما هم سكارى قد شربوا ولعبوا اذ هجم عليهم المسلمون فقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وقتل هنالك الجالينوس ، قتله زهره بن حوية التميمي • ثم ساروا خلفهم فكلما تواجه الفريقان نصر الله حزب الرحمن ، وخذل حزب الشيطان وعبدة النيران • واحتاز المسلمون من الاموال ما يعجز عن حصره ميزان وقبان ، ولم يزالوا يتبعونهم حتى جازوا الفرات وراءهم ، وفتحوا المدائن وجلولاء •

قال سيف بن عمر عن سليمان عن بشير عن ام كثير امرأة همام بن الحارث النخعي قالت : شهدنا القادسية مع سعد مع أزواجنا فلما اتانا أن قد فرغ الناس ، شددنا علينا ثيابنا واخذنا الهراوي ثم اتينا القتلى ، فمن كان من المسلمين سقيناه ورفعناه ، ومن كان من المشركين اجهزنا عليه ،ومعنا الصبيان فنوليهم ذلك ــ تعني استلابهم ــ لئلا يكشفن عن عورات الرجال وكتب سعد الى عمر يخبره بالفتح وبعدة من قتلوا من المشركين ، وبعدة من قتل من المسلمين ، وبعث بالكتاب ابن عميلة الفزاري وصورته •

اما بعد فان الله نصرنا على أهل فارس ، ومنحناهم سنن من كان قبلهم من أهل دينهم ، بعد قتال طويل ، وزلزال شديد ، وقد لقوا المسلمين بعدة لم ير الراؤون مثل زهائها ، فلم ينفعهم الله بذلك ، بل سلبوه ونفله عنهم الى المسلمين ، واتبعهم المسلمون على الانهار ، وصفوف الآجام ، وفي الفجاج •

واصيب من المسلمين سعد بن عبيد القاري، وفلان وفلان ، ورجال من المسلمين لا يعلمهم الا الله ، فانه بهم عالم كانوا يدّوون بالقرآن اذا جن عليهم الليل كدوي النحل، وهم آساد في النهار لا تشبههم الاسود ، ولم يفضل من مضى منهم من بقي الا بفضل الشهادة اذا لم تكتب لهم ، فيقال ان عمر قرأ هذه البشارة على الناس فوق المنبر رضي الله عنه ثم قال عمر للناس :

« اني حريص على ان لا أرى حاجة الا سددتها ،ما اتسع بعضنا لبعض، فاذا عجز ذلك عنا تآسينا في عيشنا حتى نستوي في الكفاف، ولوددت انكم علمتم من نفسي مثل الذي وقع فيها لكم ، ولست معلمكم الا بالعمل ، الي والله لست بملك فاستعبدكم ، ولكني عبدالله عرض علي الامانة فان ابيتها

ورددتها عليكم واتبعتكم حتى تشبعوا في بيوتكم وترووا سعدت بكم ، وان انا حملتها واستتبعتكم الى بيتي شقيت بكم ، ففرحت قليلا وحزنت طويلا ، فبقيت لا أقال ولا أرد فاستعتب » .

وقد كان عمر رضي الله عنه يستخبر عن أمر القادسية كل من لقيه من الركبان ، ويخرج من المدينة الى ناحية العراق يستنشق الخبر ، فبينما هو ذات يوم من الايام اذا هو براكب يلوح من بعد ، فاستقبله عمر فاستخبره ، فقال له : فتح الله على المسلمين بالقادسية وغنموا غنائم كثيرة ، وجعل يحدثه ولا يعرف عمر وعمر ماش تحت راحلته ، كلما اقتربا من المدينة جعل الناس يحيون عمر بالامارة، فعرف الرجل عمر فقال :

يرحمك الله يا أمير المؤمنين هلا اعلمتني انك الخليفة ؟ فقال : لا حرج عليك يا أخي .

لقد قصدنا بايراد الرواية كاملة مع تكرار بعض ما جاء فيها في ثنايا الكتاب ان يعرف القراء الاعزاء الشيء الكثير عما يتصل بموقعة القادسية ليتخذوا منها العبرة والقدوة .

ونحن موقنون اننا لو عدنا الى اسلامنا عودة صحيحة لكانت لنا هيبة في حاضرنا تماثل هيبة امتنا في ماضيها السعيد الماجد ، وقديمها العظيم التالد .

خـــاتمـــة

الرجل الصالح

عن عائشة رضي الله عنها قالت : أرق رسول الله صلى الله عليـه وسلم ذات ليلة فقال : ليت رجلا صالحا من أصحابي يحرسني الليلة ،قالت : فسمعنا صوت السلاح ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هـذا ؟ قال : سعد بن أبي وقاص يا رسول الله ، جئت أحرسك قالت عائشة : فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم مطمئنا .

ادبه في دعـائه ربه

ذكرنا فيما مضى أن سعدا رضي الله عنه كان مجاب الدعوة ، فكانت دعوته سيفا قاطعا ومع ذلك فكان لا يستعمل هذا السيـف الا في أخـص مواطنه . وهذا نموذج صادق من هذه النماذج الرائعة .

يروي عامر بن سعد فيقول :

رأى سعد رجلا يسب عليا ، وطلحة ، والزبير ، فنهاه فلم ينته ، فقال له : اذن ادعو عليك . فقال الرجل : أراك تهددني كأنك نبي !!

فانصرف سعد وتوضأ وصلى ركعتين ، ثم رفع يديه وقال : اللهم ان كنت تعلم أن هذا الرجل قد سب أقواما سبقت لهم منك الحسنى ، وأنه قد أسخطك سبه اياهم . فاجعله آية عبرة .

فلم يمض غير وقت قصير ، حتى أصيب اصابة قاتلة اماتته .. !!

لقد جمع سعد بن ابي وقاص بين عطفيه أنبل الاخلاق وأكرم الخصال: فكان طيب المنبت ، ذكي الفؤاد ، ثابت الجنان ، مقداما ، صواما ، قواما . اذا اشترك في الحرب ، اشتد على العدو، ونافح عن الدين ، وذب عـن الرسول صلى الله عليه وسلم وقد ظهرت هذه الخلال الحميدة في جميـع الغزوات التي شهدها سعد في أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كمـا ظهرت في المعارك الدامية التي خاض غمارها جند المسلمين بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم .

نعم • كان سعد يرحم الصغير ويوقر الكبير ، ولا يفرق بين عربي ولا أعجمي الا بالتقوى والعمل الصالح • وكان يرى ان من تفوق في القتال وفني فيه ، نال الغنم الاكبر والشرف الاعظم •

كان سعد بن ابي وقاص من سراة العرب : قيل انه ابتنى داره بالعقيق، ووسع فضاءها ، وجعل أعلاها شرفات ، وقد ذكر المؤرخون أن عثمان بن عفان أقطع سعدا قرية هرمز •

روى سعد كثيرا من الاحاديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم • وروى عنه أولاده :

ابراهيم ، وعامر ، ومصعب ، وعائشة • ومن الصحابة : عائشة ام المؤمنين ، وعبدالله بن عباس ، وعبدالله بن عمر ، ومن كبار التابعين : سعيد بن المسيب ، وأبو عثمان النهدي ، وقيس بن أبي حازم ، وعلقمة •

وقد اسلم سعد ، وطلحة ، والزبير ، وعلي في سنة واحدة ، ولذا كان سهمهم واحدا •

ومات سعد بعد حياة حافلة شامخة وبكى أحد أولاده ، فقال له سعد وهو ينزع :

ما يبكيك يا بني ؟• انني من أهل الجنة كما شهد لي رسول الله صلى الله عليه وسلم • وذهب الى ربه وهو في اعلى درجات الرجاء• رحمه الله •

ومن احاديثه التي رواها ما جاء في حلية الاولياء لابي نعيم :

حدثنا ابو عمرو بن حمدان حدثنا الحسن بن سفيان حدثنا اسحق ابن ابراهيم وعثمان بن ابي شيبة • قالا : حدثنا جرير بن مغيرة الضبي عن رجل من بني عامر قال : حدثنا مصعب بن سعد بن ابي وقاص عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

«لأنا في فتنة السراء لا خوف عليكم مني في فتنة الضراء،انكم ابتليتم بفتنة الضراء فصبرتم وان الدنيا حلوة خضرة » •

حدثنا ابو بكر بن خلاد حدثنا الحارث بن ابي أسامة حدثنا محمد الواقدي حدثنا بكر بن مسمار عن عامر بن سعد سمعه يخبر عن أبيه •قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان الله عز وجل يحب العبد التقي الخفي الغني » •

اولاده

جاء في الطبقات لابن سعد :

كان لسعد ابن ابي وقاص من الولد :

اسحاق الاكبر ، وعمر ،ومحمد ،وعامر، واسحاق الاصغر ،واسماعيل وابراهيم ، وموسى ، ومصعب ، وعبدالله الاكبر ، وعبدالله الاصغر ، وبجير واسمه عبد الرحمن ، وعمير الاكبر ، وعمرو ، وعمران ، وصالح، وعثمان ، وعمير الاصغر .

ومن الاناث رزق :

أم الحكم الكبرى ، وحفصة ، وأم القاسم ، وأم كلثوم ، وأم عمران وأم الحكم الصغرى، وأم عمرو ، وهند ، وأم الزبير ، وأم موسى ،وحميدة وحمنه ، وأم عمرو ، وأم أيوب ، وأم اسحاق ، ورملة ، وعمرة ، وعائشة، و ذلك لانه تزوج اكثر من امرأة على عادة المسلمين في صدر الاسلام، رحم الله سعدا وألحقنا به في الصالحين .

فهرست الكتاب

الموضوع	صفحة
مقدمة .	٥
إسمه ونسبه .	٧
سبقه للإسلام .	٧
نشأته .	٧
اعتزاز رسول الله ﷺ بصلته به .	٨
سعد بن ابي وقاص احد المبشرين بالجنة .	٨
مواقف كان لسعد السبق فيها .	٩
القرآن ينزل عدة مرات في سعد .	٩
والسنة ايضاً .	١١
مواقف سعد العسكرية في عهد الرسول ﷺ .	١١
سعد بن ابي وقاص في طور القيادة .	١٣
القائد المشهور سعد بن ابي وقاص .	١٣
اجماع كبار الصحابة وعامتهم على اختيار سعد للقيادة .	١٥
وصية عمر لسعد .	١٥
بين يدي المعارك التي خاضها المسلمون تحت قيادة سعد .	١٦
سعد بن ابي وقاص ينتفع بآراء المثنى ووصاياه .	١٦
الرجل المناسب في المكان المناسب .	١٧
الحرب ليست هدفاً في حد ذاتها .	١٨
نموذج من الاتصالات التي تمت بين المسلمين والفرس .	١٨
سعد في معركة القادسية .	١٩
كيف بدأت المعركة .	٢١

الموضوع	صفحة
قوة الدهاء وسعة الحيلة .	٢٣
الجانب الأخلاقي في سعد .	٢٣
المرونة والتوازن في سعد بن ابي وقاص .	٢٦
من تقرير عن المعركة يكتبه سعد الى امير المؤمنين .	٢٩
بعد القادسية .	٢٩
التأثير الضخم الذي احدثه انتصار المسلمين في القادسية .	٣٠
سعد في طريقه للمدائن (عاصمة الفرس)	٣٠
من طرائف سعد في بابل .	٣١
سعد بن ابي وقاص في بهرسير .	٣١
سعد يستعمل احدث وسائل الحرب التي تصل اليها يده .	٣٢
المدائن	٣٢
سعد يبعث بابن أخيه هاشم الى جلولاء ويقضي على مقاومة الفرس .	٣٤
سعد في ذروة انتصاره ولكنه يطيع الخليفة ويتنازل عن رأية .	٣٥
محاضرة تكريت واتحاد العرب ضد العدو .	٣٥
التناسق يبلغ حد التكامل بين سعد وعمر .	٣٦
نموج آخر يعطينا نفس الدلالة	٣٦
سعد بن ابي وقاص حاكماً على الكوفة .	٣٧
سعد بن ابي وقاص يمثل القيادة المركزية لبلاد فارس .	٣٨
معركة نهاوند	٣٨
سعد يعزل عن الكوفة ولكنه يحتفظ بثقة الخليفة ويعلو فوق الأزمة .	٤١
سعد يعتزل الفتنة ويرفض الخلافة .	٤٣
موت سعد كان آخر المهاجرين .	٤٦
تعلق القلوب به وتكريم الصالحين والصالحات له .	٤٦
وصف كامل لموقعة القادسية مقدماتها ونتائجها .	٤٨
خاتمة .	٥٩
الرجل الصالح .	٥٩
ادبه في دعائه ربه .	٥٩
اولاده .	٦١